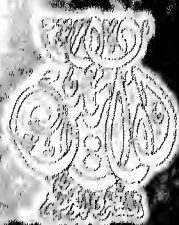


الكلمة الطيبة

«الكلمة الطيبة صدقة»

تاج الدين نوفل



الكلمة الطيبة

« الكلمة الطيبة صدقة »

تاج الدين نوفل


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنَّا الْإِنْسَانُ لَنَكْفُرُ وَنُكْفَرُ بِهِ
مَّا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِيمَا كَانَتْ يَدَايَاهُ فِي الْأَفْنَى
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

دار الأمين

طبع • نشر • توزيع

القاهرة ١٣ شارع البركة الناصرية (من

شارع موبار) السيدة زينب - لاطو غلي

ت ٣٥٥٤٣٧٦ ف ٣٩٠٠١٣٠

صر - ١٣١٥ المنيعة ١١٥١١

الهيضة : ١ شارع سوهاج من شارع

الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش)

الهرم - تليفون : ٥٦٣٤٦٩٩

ص - ب : ١٧٠٢ المعتبة ١١٥١١

جمهورية مصر العربية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس أي

جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر.

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع ١٩٩٩/٢٩٩٠

ISBN : 977-279-232-X

التفصيل الطباعي : دار الأمين للطباعة

الإخراج الفني : جمال فتحي أحمد

كلمة طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

الإهداء

- إلى :
الزهرة اليانعة ..
إلى :
الياسمينه ..
إلى :
أجمل ترنيمه .. وأحلى زينه ..
إلى :
اللؤلؤة النفيسه ..
إلى :
الجوهرة الثمينه ..
إلى :
الهدى والسكينه ..
إلى :
السيدة العظيمة ..
إلى :
الملكة « سوسينا » .

مع خالص تحياتى
تاج الدين نوفل

مقدمة

السلام عليك أيها القارئ الكريم . . .

السلام عليك أيها القارئة الكريمة . . .

تحية من عند الله مباركة طيبة ، وبعد ، ، ،

هذا الكتاب الذى بين أيدينا . . هو امتداد للشجرة الطيبة التى غرسناها معاً والتى امتدت فروعها . . وترعرعت أوراقها . . ونستظل بظلها الآن . . فى كتاب إثر كتاب والذى أهديته إليك من قبل . . يحمل بين دفتيه كل ما يهم المسلم فى يومه وليله . . وفى حله وترحاله . .

وها أنذا . . أهدى إليك اليوم كتاباً آخر فيه تعاليم شتى . . وأمور هامة . . أعرضها عليك . . ولا أدخر وسعاً فى تبسيطها وإيجازها . . بما لا يخل بالمعنى . . ولا يضر بالمبنى . .

وكما تعودت فى أحاديثى معك دائماً . . وكتاباتى إليك . . أن أؤيد ما أسرده عليك . . وأكتبه إليك . .

* بالآية الكريمة . . التى هى الحق الذى لا يعرف الباطل .

* والحديث الشريف . . الذى هو الوحي السماوى . . ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى﴾^(١).

* والحكمة . . التى هى ضالة المؤمن . . ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾^(٢).

* والقصة . . التى تؤكد المعنى . . وتؤيد المغزى . .

* والشعر . . الذى هو ديوان العرب . . وميثاقه الأدبى . .

* والأثر . . الذى هو القاعدة الأصيلة للأعراف . .

* والمثل . . الذى هو التراث الخلقى الموروث عن الأجداد . .

(١) ٤ النجم .

(٢) ٣٤ الأحزاب .

وكلها يؤيد بعضها بعضاً ويشد من عضده . . لتثبت القيمة أو الفكرة التى نتحدث عنها . . لترسخ فى عقل المسلم وقلبه . . فيؤمن بها . . ويعمل لها . .

وقد نظمناها كلها مسبحة بين يدى المسلم تشابك خرزاتها من أجل الوصول بالفكرة إلى القلب والوجدان من أقصر طريق . . وأشرف سبيل . . وهى على صدر المسلم وفى عنق المسلمة كالعقد قد نظمت حياته . . وتكونت خرزاته . . فكرة فكرة . . وقيمة قيمة . . ومعنى معنى . . وصورة صورة . . من أجل المثل العليا . . التى يدعو إليها أشرف كتاب . . وأسمى نبي (ﷺ) .

وهى فى النهاية كلمة طيبة يفوح شذاها فى كل مكان وزمان . . وهى روح وريحان . . ومسك وزعفران من جنة رضوان . . وكيف لا؟! والجنة قيعان . . غراسها سبحان الله . . والحمد لله . . ولا إله إلا الله . . والله أكبر . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . ونحن لم نتجاوز هذا قيد أنملة . .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * نُؤْتِيهِ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وهى أولاً وآخرأ . . دعوة إلى النور والإيمان . . من ظلمات الجهالة . . وبرائن الشيطان . . لندرك بها ما أدركه الأوائل من الأعلام فى صدر الإسلام . . الدين قال الله فيهم فى كتابه الحكيم :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢) .

صدقوا فى القول . . وصدقوا فى العمل . .

أخلصوا القول . . وأخلصوا العمل . . فحققوا الأمل . . ونالوا درجات النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . .

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .

(٢) ٢٣ الأحزاب .

لم يبدلوا شيئاً . . ولم يحرفوا شيئاً . . وإنما صدقوا الوعد ووفوا العهد . . واتبعوا
النور المبين . . فكانوا مشاعل نور وهدى للعالمين . . يهتدى بهم الناس فى ظلمات
الأرض . . فاستحقوا من الله تعالى قوله فيهم :

﴿ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ (١) .

﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

﴿ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٣) .

ولك أن تتأمل كلمة رجال . . ممن ؟ من الله تعالى !!

فطوبى لهؤلاء وأولئك . . حين يصفهم ربهم برجال . . والرجال قليل . . يصفهم
ربهم فى قرآنه الكريم . . برجال . .

إن كلمة رجال . . كلمة تزن الجبال . . بل تزول لها الجبال . . ولا تزول . . وإن
كلمة رجال . . كلمة أقوى من الجبال . . ولكن أين هم ؟!

أين هؤلاء الرجال . . الذين تزول أمامهم الجبال . . والواحد منهم يزن الجبل
ويزيد . . رجل بجبل . . بل يزول له الجبل .

فلقد كان الرجل قديماً صابراً جسوراً . . يحمل الهموم الثقالة ولا يتململ . . ينظر
إلى الجبل . . وهو يناجيه من ثقل ما يحمله . . ويقول :

لو أن ما بك مثل ما بى لدككت من هول المصائب (*)

يا أيها الجبل الذى ما ذاق إلا بعض ما بى

هذا . . ولقد كانت وصية أمينة بنت وهب لابنها الصغير « محمد » قبل أن تموت وهو
فى السادسة من عمره : يا محمد كن رجلاً . .

فكان محمد (ﷺ) رجلاً وأى رجل . . كان رجلاً وأعظم رجل . .

(١) ٢٣ الأحزاب .

(٢) ٣٧ النور .

(٣) ١٠٨ التوبة .

(*) من شعر المؤلف .

كان رجلاً ربي رجلاً ..

كان أمة ربي أماً ..

فاستحقوا قول ربنا عز وجل : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (١) .

فكونوا رجلاً يغفر الله لكم ..

كونوا رجلاً وليكن ما يكون ..

إذا لم يكن من الموت بدءٌ فمن العار أن تموت جباناً (٢)

واطلب الموت توهب لك الحياة .. وإن الحياة ساحة ..

والشجاعة صبر ساعة ..

أما بعد ...

فهذه كلمة طيبة .. فى كلمات ..

وصفحة ناصعة .. فى صفحات ..

وصفحات فى كتاب ..

تناولتها وناولتها .. وتلقيتها .. وألقيتها إليك .. بكل معنى ومغزى ..

فلعلها تجد عندك ما وجدته عندى .. من حفاوة وامثال لأمر الله تعالى ..

فالكلمة الطيبة .. شجرة طيبة .. فروعها طيبة .. وأوراقها طيبة .. وثمارها طيبة ..

الأصل ثابت .. والفرع فى السماء .. والشمر فى القلوب .. مطلوب ومحبوب ..

ومن زرع كلمة طيبة .. نبتت شجرة طيبة .. وطرحت ثمراً طيباً .. وظلاً ظليلاً ..

يستظل به يوم القيامة .. يوم لا ظل إلا ظله .. ولا نور إلا نوره .. ولا أمل إلا فيه ..

والكلمة الخبيثة .. شجرة خبيثة .. فروعها خبيثة .. وأوراقها خبيثة .. وثمارها

خبيثة : لا أصل لها ولا قرار .. ولا فرع لها ولا ثمار ..

ومن زرع كلمة خبيثة نبتت شجرة خبيثة .. وطرحت ثمراً خبيثاً .. لا ظل له

إلا الهجير .. يكتب به يوم القيامة .. يوم الحسرة والندامة .. فى نار سوداء ..

(١) ٢٣ الأحزاب .

(٢) من شعر المتنبى .

لا تعرف الضياء .. أوقدها الله ألف عام حتى احمرت .. وألف عام حتى ابيضت ..
وألف عام حتى اسودت .. ولو ألقى فيها حجر لا يصل إلى قاعها إلا بعد سبعين عاماً ..
وهذه النار .. نار الآخرة .. ليست كنار الدنيا .. فإن نار الدنيا في نار الآخرة .. كنور
الشمعة ..

وفي الأثر :

« لو صادف أهل النار ناركم هذه لناموا فيها » .

فأدرك الأمر قبل فوات الأوان .

وازرع شجرة طيبة .. في كلمة طيبة .. أو عمل طيب .. أو أمر طيب .. أو نهى
طيب .. أو بسملة طيبة .. أو حتى صمت طيب ..

فالصمت حكمة .. وقليل فاعله .. والصمت من أعظم العبادات ..

فإذا لم تستطع أن تنطق بالكلمة الطيبة .. ولا بالعمل الطيب .. فلا أقل من أن
تصمت .. ورحم الله عبداً تكلم فغنم .. أو سكت فسلم .. أما أن تترك الطيب من
القول .. وتترك الطيب من الصمت .. ولا تقف عند هذا الحد .. بل تطلق لسانك في
أعراض الناس .. فهذه الخالقة .. لا تحلق الشعر .. بل تحلق الدين .. وإذا لم تزل
المنكر .. فزل عنه .

« ومن غريل الناس نخلوه .. ومن نخل الناس عجنوه .. ومن عجن الناس
خبزوه .. ومن خبز الناس أكلوه » .. وكما تدين تدان ..

فكن كلمة طيبة .. فوق الشفاه .. وكن بسملة طيبة .. فوق الجباه .. وكن نسمة
طيبة .. بغم الحياة .. إذا أردت النجاة ..

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ *
تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

تاج الدين نوفل

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

الكلمة الطيبة

يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(١)

ويقول تعالى :

﴿ وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾^(٢)

ويقول عز وجل :

﴿ يَهَيِّئُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٣)

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

« علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل »^(٤)

« العلماء ورثة الأنبياء »^(٥) .

هذا وقد سأل أحد الملوك بعض العلماء :

* كيف يأكل أهل الجنة ما يشتهون . ثم لا يتغوطون ؟

فرد أحد العلماء . . وقال :

هذا أمر يسير على الله سبحانه وتعالى . . حيث أننا سنكون في نشأة أخرى . كما

كنا من قبل في الأرحام . . نطفة . . علقة . . مضغة . . إلخ . .

فإن الأجنة في بطون أمهاتهم يأكلون وينمون ولا يتغوطون !!

فقال : صدقت . .

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .

(٢) ٢٤ الحج

(٣) ٢٧ إبراهيم .

(٤) رواه الطبراني وغيره .

(٥) رواه الحاكم وغيره .

ثم سأل .. وقال :

* وكيف يأكلون ما يشتهون .. ولا تنقص الجنة بما يأكلون ؟!

فقال :

لو كان عندك مصباح .. وجاء الناس وأوقدوا منه مصابيحهم .. هل ينقص من

مصباحك شيء .. مما يوقدون ؟!

قال : صدقت !!

ثم سأل .. وقال :

* ولكن إلى أين تذهب الأرواح عن أصحابها .. عندما يموتون ؟!

فرد عليه قائلاً :

إلى حيث كانت قبل ما يخلقون ..

قال : صدقت !!

ثم سأله قائلاً :

* إذا كانت الجنة عرض السموات والأرض .. فالنار أين تكون ؟!

فقال العالم الجليل :

إذا جاء الليل .. أين ذهب النهار والحركة ..

وإذا جاء النهار .. أين ذهب الليل والسكون ..

قال : صدقت !!

ثم سأله .. وقال :

* ولكن .. كيف يحاسب الله تعالى الناس جميعاً .. وهم أم شتى مختلفون ؟!

فقال العالم :

كما يرزقهم جميعاً وهم أم شتى مختلفون .. يحاسبهم جميعاً وهم أم شتى

مختلفون .

قال : صدقت .. صدقت .. صدقت ..

وهكذا ..

استطاع العالم العامل من أن يرد بقول ثابت . . ثبات الطود الشامخ . .
ويقنع هذا الملك الجبار بهذا الدين . . وحبله المتين . . الذى قال فيه رسول الله (ﷺ) :
« وما شاد الدين أحد إلا غلبه . . » .
وما نطق هذا العالم إلا بالحق واليقين . . وما أنطقه بهذه الحكمة . . إلا رب
العالمين . . الذى يقول فى كتابه الحكيم :
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) . . أى من أراد أن يتعلم . . فليتنق . . لأن التقوى
أساس العلم . .
فإذا اتقى الله وتعلم . . وعمل بما علم . . أورثه الله علم ما لم يعلم . . وفجر الله
على قلبه ينابيع الحكمة . . فتكلم بكلام الله . . فإذا تكلم بكلام الله تعالى . . جعل الله
كلامه فى فمه . . فلا يقول إلا حقاً . . ولا ينطق إلا صدقاً
وصدق الله العظيم . . حيث يقول
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلًا لَّهَا ﴾
الآتِاب ^(٢) . .
إن الحكمة بحر مبارك . . لا يهبه الله إلا من يشاء من عباده المخلصين . . ونهر
فياض . . لا يُعْجِزُهُ الله إلا على قلوب أوليائه الصالحين
فإذا بلغ العبد هذه الدرجة كات محسناً . . أى من أهل الإحسان . . والإحسان كما
نعلم :
أن تعبد الله كأنك تراه . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . .
فإذا تيقن العبد أنه : يرى ويرى . . فقد بلغ الدرا . . وأصبح يرى بنور الله تعالى . .
وكان من الذين قال الله فيهم :
﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ .. ﴾ ^(٣) .

(١) البقرة ٢٨٢

(٢) البقرة ٢٦٩

(٣) الحج ٢٤

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ
الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ . .
﴿ يَفِئْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُعْطِي اللَّهُ الظَّالِمِينَ
وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ *
تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . . ﴾ (٣)
بالإيمان وصدق الكلمة والإحسان وشكر النعمة
والنفس إذا عفت وسمت والقلب إذا عرف الرحمة
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ بِالتَّقْوَى من نورك ينبوع الحكمة (*)



بالحكمة والموعظة الحسنة

يقول تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٤)
ويقول رسول الله (ﷺ) :

* « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها . . » (٥) .
* « الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . قلنا : لمن يا رسول الله ؟
قال : لله ولرسوله . . ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٦) .

- | | |
|--|---------------------|
| (١) ٦٢ ، ٦٤ يونس . | (٢) ٢٧ إبراهيم . |
| (٣) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم . | (*) من شعر المؤلف . |
| (٤) النحل ١٢٥ . | |
| (٥) من حديث المصطفى (ﷺ) عن (على كرم الله وجهه) . | |
| (٦) متفق عليه . | |

الحكمة

هذا . .

ولقد نصح أحد الأئمة عبد الملك بن مروان . . وأغلظ في القول . . فقال له
عبد الملك بن مروان :

يا هذا . . لست أنت خيراً من موسى وهارون .

ولست أنا شراً من فرعون

ومع هذا . . قال الله تعالى لموسى وهارون :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ ﴾ (١)

فادع إلى الله بحكمة . . وخفف من غلوائك يا هذا . .



الموعظة الحسنة

فادع إلى ربك بالحكمة . . والموعظة الحسنة . . وجادل بالتي هي أحسن . . فإن الله
يحب الرفق في الأمر كله . . ويحب النصح في الأمر كله . . والإخلاص في كل نصح . .
حتى تؤدي الدعوة مغزاها . . وتبلغ الحكمة معناها . .
إن الذي يدعو إلى ربه بحب وإخلاص . . منزهاً نفسه عن الهوى والغرض . .
لا يرجو إلا الله . . ولا يبغي سواه . . تبلغ دعوته مداها . . وتحقق فحواها . .



بالتى هى أحسن

وهذا حوار بين أحد العلماء المخلصين وبين أحد الرهبان المتشددین . . انتهى به إلى الإيمان . .

فقد أراد الراهب أن يعجز العالم . . فجادله العالم بالحسنی . . ولم يخرج عن الحق . . وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . . وقرأ معى هذا الحوار الراقى :

قال الراهب : هل كسف القمر ؟

قال العالم : نعم .

قال الراهب : فلماذا لم يره إلا أهل مكة ؟

قال العالم : هل نزلت المائدة على عيسى والحواريين . . عليهم السلام ؟

قال الراهب : نعم .

قال العالم : هل رآها أحد غير عيسى والحواريين ؟

قال الراهب : لا . .

قال العالم : فلماذا لم يرها أحد غيرهم ؟

قال الراهب : وما تقول فى أمر عائشة . . يريد أن يطعنها فى شرفها . . مشيراً إلى حادثة الإفك . .

قال العالم : لقد اتهمتم من تزوجت ولم تنجب . . ولقد برأنا من أنجبنا ولم نتزوج . . والمعنى : لقد اتهمتم عائشة (رضى الله عنها) وهى التى تزوجت من رسول الله (ﷺ) ولم تنجب . . ولقد برأنا مريم ابنة عمران التى أنجبنا عيسى عليه السلام دون أن نتزوج . .

وهذه روعة فى الحوار وحكمة بالغة . . وحجة دامغة . . ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

قال الراهب : ولكن عيسى بن مريم نبينا أطهر من نبيكم محمد (ﷺ) . .

قال العالم : لماذا ؟

قال الراهب : لأن نبينا عيسى لم يتزوج .. أما نبيكم محمد (ﷺ) فقد تزوج .. وفى الزواج نجاسة ..

قال العالم : هل أنت متزوج ؟

قال الراهب : لا .. أنا راهب والراهب لا يتزوج !!

قال العالم : لقد اتهمتم الله بالزواج .. فهل أنتم أطهر أم الله تعالى ؟ وهل الله أطهر أم عيسى بن مريم ؟

قال الراهب : صدقت .. صدقت .. صدقت يا إمام !!

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله (ﷺ) .

انظر :

بالحجة والمنطق .. لا بالصياح والضجيج .. استطاع هذا العالم الجليل .. أن يجذب إلى حضرة الإيمان .. راهباً .. باللين لا بالشدّة .. والحكمة .. لا بالقسوة ..

وهكذا تكون الدعوة إلى الله .. بالحكمة والموعظة الحسنة ..

فأعلن الراهب إيمانه .. وأشهر إسلامه .. وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) .

وهكذا نجح العالم فى دعوته إلى الله تعالى .. وفاز ببشرى رسول الله (ﷺ) :

« فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً .. خير لك من الدنيا وما فيها » .

وصدق الله العظيم :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَقَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

• • •

وصايا مباركة

يقول تعالى :

- * ﴿ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١) .
- * ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلًا لَهَا ﴾ (٢) .

ويقول الهادي البشير (رحمه الله) :

- * « خيركم من تعلم العلم وعلمه » (٣) .
- * « خير الناس أنفعهم للناس » (٤) .
- * « من كتم علماً يعلمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة . . » (٥) .
- * « الساكت عن الحق شيطان أخرس . . » (٦) .
- * « بلغوا عني ولو آية . . » (٧) .
- * « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :
- عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟
- وعن علمه فيم عمل فيه ؟ » (٨) .

* * *

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

بين لى بعض ما يتعرض له الشباب من موبقات النفس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك واليأس من نفسك ، فإنه يسقط الهمة ، وإياك واليأس من وطنك ، فإنه يهدر الكرامة ، وإياك واليأس من روح الله ، فإنه ﴿ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٩) .

- | | |
|---------------------|--------------------|
| (١) ٨٨ هـ . | (٦) رواه مسلم . |
| (٢) ٢٦٩ للبقرة . | (٧) رواه أحمد . |
| (٣) رواه الطبراني . | (٨) رواه الترمذي . |
| (٤) رواه النسائي . | (٩) ٨٧ يوسف . |
| (٥) رواه ابن ماجه . | |

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

زدنى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك والرضى عن نفسك ، فإنه يضطرك إلى الخمول . .

وإياك والعجب ، فإنه يورطك فى الحلق . .

وإياك والغرور ، فإنه يظهر للناس كلهم نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك .

واذكر دائماً قول المتنبى :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره فيه ما لا يرى

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

زدنى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك والصلة فى جمع المال ، فإنه خسة .

وإياك والحرص على كثر المال ، فإنه ذلة .

وإياك والإحجام عن بذل المال فى وجوه الخير ، فإنه ضعة .

واقراً قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٢)

• • •

آداب النصيحة

يقول تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

ويقول جل وعلا :

﴿ وَذَكَرْ لَّيْلَةَ الدِّكْرِ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

« الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٣)

من طبيعة الإنسان النسيان . . ولذلك سمي الإنسان إنساناً . . لكثرة نسيانه . .
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَافِثٍ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٤) . ولما كان الإنسان دائم النسيان فإنه في حاجة إلى من يذكره بما ينفعه وما يضره .

وتعتبر النصيحة أغلى هدية يقدمها الإنسان للإنسان ، لأن النصيح لا يتأتى إلا من أهل النصيح ، وأهل النصيح هؤلاء عرفوا الحياة وعرفتهم . . فذاقوا حلوها ومرها . . وخيرها وشرها . . فحازوا الخبرة واستخلصوا العبرة .

والمخلصون قليلون فابحث عنهم في شتى بقاع الأرض . . فإن ظفرت بواحد . . فقد ظفرت بخير كثير . . فالمخلص موفق . . والإخلاص ثمن التوفيق . . والتوفيق ثمرة الإخلاص . . فاحرص على الإخلاص . . يوهب لك التوفيق . .

والناصح الأمين ثمرة من ثمرات الإخلاص . . يختصر لك الوقت . . ويبذل عنك الجهد . . ويوفر لك المال ، ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

الدين النصيحة : قيل لمن يا رسول الله ؟

قال : لله والرسول ولعامة المؤمنين . .

(١) ١١٥ طه .

(٢) ١١٠ آل عمران .

(٣) متفق عليه . . من حديث تميم الداري (رضي الله عنه) .

(٤) ٥٥ الداريات .

وللنصيحة آداب :

- * منها أن تكون خالصة لوجه الله تعالى .
- * ومنها أن تكون بأدب ولطف فلا تجعلها جدلاً ، ولا تلقها جبلاً ، بل ألقها برفق وكن خجلاً . .
- * وخير النصيحة ما قدم عملاً . . وأدناه ما قدم قولاً . . وخير منهما ما قدم قولاً وعملاً . .

* ومنها أن تكون سراً لا جهرًا إلا إذا كانت للجماعة . .
ولا فإن النصيحة على الملا فضيحة . .
يقول الإمام الشافعي (رحمه الله) .

تعمدني بنصحك في انفرادي	وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصيح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي	فلا تجزع إذا لم تول طاعة

وجاء في الأثر :

من نصيح أخاه سراً	فقد نصحه وزانه . .
ومن نصيح أخاه جهرًا	فقد فضحه وشانه . .

• • •

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

(١) ١٠٢ ، ١٠٤ آل عمران .

يقول تعالى :

يا أيها الذين آمنوا .. ناداهم بلفظ الإيمان ليحرك فيهم مشاعر الطاعة .. ويزكي فيهم جذوة الإيمان .

اتقوا الله حق تقاته .. فما هي التقوى ؟ .. أن يراك الله حيث أمرك .. وأن يفتقدك حيث نهاك .. أن يراك حيث يأمر .. وأن يفتقدك حيث ينهى .. أن يراك حيث يحب .. وأن يفتقدك حيث يكره .. أن يراك حيث يرضى .. وأن يفتقدك حيث يغضب .
فما تكون التقوى إذن :

التقوى هي : الخوف من الجليل .. والعمل بالتنزيل .. والصبر الجميل .. والخلق النبيل .. والرضا بالقليل .. والعرفان بالجميل .. والاستعداد ليوم الرحيل ..
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . فما هو الإسلام ؟

أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وأن تقيم الصلاة .. وتؤتي الزكاة .. وتصوم رمضان . وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا .. فمن كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة .. وفي الحديث القدسي : « لا إله إلا الله حصني .. من قالها دخل حصني .. ومن دخل حصني .. أمن عذابي . »
ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

« أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله .. » فهي الكلمة الطيبة .. وهي كلمة التقوى .. وهي العروة الوثقى

هذا .. ولقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يخصه بذكر يذكره به دون سائر الناس .. فقال الله يا موسى : قل لا إله إلا الله .

فقال موسى : يا رب كل الناس تقولها .

فقال الله تعالى : « يا موسى .. أما علمت أنه لو وضعت لا إله إلا الله في كفة والسموات والأرض في كفة .. لرجحت كفة لا إله إلا الله .. » .

وقد سأل عليّ (كرم الله وجهه) رسول الله (ﷺ) : أن يخصه بذكر يذكر الله به دون سائر خلقه ؟

فقال الرسول (ﷺ) يا علي .. قل : لا إله إلا الله ..

فقال عليّ (عليه السلام) : يا رسول الله كل الناس تقولها .

فقال المصطفى (ﷺ) : يا علي .. قل : لا إله إلا الله .. قل : لا إله إلا الله .. قل : لا إله إلا الله .

إنها خير ما في السموات والأرض .. وإنها خير من السموات والأرض .
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. أى : تمسكوا بدين الله تعالى . ولا تفرقوا فيه .. ولا تختلفوا عليه ..

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

أى : واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء .. فأصباحتم بنعمة الله أحباباً .. وكنتم كافرين .. فأصباحتم بنعمته مؤمنين .. وكنتم من أهل الجحيم .. فأصباحتم بنعمته من أهل النعيم المقيم .. فأنقذكم من النار .. وأدخلكم الجنة مع الأبرار .. فاذكروا هذه النعم لتسعدوا في هذه الدار وتلك الدار ..

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

أى : ولتقم منكم طائفة تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. وهؤلاء هم الفائزون في الدنيا .. الفائزون في الآخرة ..

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى السُّلْهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

(١) ١٠٣ آل عمران .

(٢) ١٠٤ آل عمران .

(٣) ١١٠ آل عمران .

(٤) ٣٣ ، ٣٥ فصلت .

ويقول الهادى البشير (عليه السلام) :

« الدين النصيحة .. الدين النصيحة .. قيل : لمن يا رسول الله ؟

قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .. » (١) .

هذا .. ولقد جاء رجل إلى ابن عباس (عليه السلام) وقال له :

يا ابن عباس .. أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .. فعظني ..

فقال له ابن عباس : وهل أعددت نفسك لهذا ؟

قال : وكيف أعد نفسي لذلك ؟

قال : بثلاثة أمور حتى لا تفتضح أمام الله ..

قال له : وما هي هذه الثلاثة يا ابن عباس ؟

قال : أولها .. قوله تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

هذه الآية ؟!

قال : لا .. فما الثانية يا ابن عباس ؟

قال : ثانيها .. قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

أحكمت هذه الآية ؟!

قال : لا .. فما الثالثة يا ابن عباس ؟

قال : ثالثها .. قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه :

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا

بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤) .

أحكمت هذه الآية ؟!

قال : لا ..

(١) متفق عليه .

(٢) ٤٤ البقرة .

(٣) ٢ ، ٣ الصف .

(٤) ٨٨ هود .

قال : إذن . . فابدأ بنفسك أولاً . . حتى يطابق القول العمل . . ولا يخالف القول . . ما تدعو الناس إليه . .

فليس من المعقول أن تأمر الناس بالصدق . . وأنت كاذب . . أو أن تدعو الناس إلى الأمانة وأنت خائن . .

هذا . . ولا يكون المرء مؤمناً حتى يكون قلبه ولسانه سواء . . لقوله (ﷺ) :
« إن الرجل لا يكون مؤمناً . . حتى يكون قلبه مع لسانه سواء . . ولسانه مع قلبه سواء . . ولا يخالف قوله عمله . . »^(١)

فاحذر أن تقول ما لا تفعل . . حتى لا تضىء للناس وتظلم على نفسك . . أو أن تضىء للناس وتحرق نفسك . . كما ورد في الحديث الشريف : « مثل الذي يأمر الناس بالخير . . وينسى نفسه . . كمثل السراج يضيء للناس . . ويحرق نفسه » . .

فما أهلك الذين من قبلنا . . إلا أنهم أمروا الناس بما لم يفعلوا . . وقالوا لهم ما لم يعملوا . . فأخذوا بأيديهم إلى الجنة ودخلوا النار . . فقد جاء في الحديث الشريف : « إن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار . . فيقولون : بم دخلتم النار ؟ ووالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم . . فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل » . .

فاحذر أن تخالف ما تقول . . أو تأمر الناس بما لا تعمل . .

فقد سئل الحسن (ﷺ) ذات يوم أن يعظ الناس في فضل عتق الرقاب . . فقال لهم : أفعل إن شاء الله .

وانتظر الناس شهراً وشهرين دون أن يفعل . .

فقالوا له : يا ابن بنت رسول الله . . سألناك أن تحدثنا في فضل عتق الرقاب . . فلم

تفعل . . ؟

قال لهم : أفعل إن شاء الله . .

وبعد ثلاثة أشهر وعظهم في فضل عتق الرقاب . .

فقالوا له : يا ابن بنت رسول الله . . لماذا تأخرت علينا ثلاثة أشهر ؟

قال : كنت أنتظر حتى أشتري رقبة . . فأعتقتها . . حتى لا يخالف قولى عملى . .

وحتى أقول ما أفعل . .

(١) رواه الأصبهاني .

إلى هذه الدرجة كانوا يخافون أن يقولوا ما لا يفعلون . . ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١) .

فاحرص أن يطابق قولك عملك . . فمن طابق قوله عمله . . فذلك هو العدل . . ومن خالف قوله عمله . . فذلك هو الظلم . .

فاحرص أن يطابق قولك عملك . . وسرك علنك . . ولسانك قلبك . . حتى تكون عادلاً مع نفسك . . صادقاً مع الله . .

هذا . . وإن من أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة . . حتى يؤتى ثماره في الدنيا والآخرة . .

فقد وعظ أحد الأئمة عبد الملك بن مروان . . وأغلظ له في القول . .

فقال له عبد الملك بن مروان : يا هذا . . أنت لست خيراً من موسى وهارون . . وأنا

لست شراً من فرعون . . ومع هذا . . قال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٢) .

فيا هذا . . اتق الله . . وخفف من غلوائك . . وادع إلى الله بأدب . . حتى تؤتى دعوتك ثمارها في الدنيا والآخرة . .



أحب عباد الله إلى الله

يقول تعالى :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣) .

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في المؤذنين الذين يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى . . فهم أحسن الناس قولاً . . وكيف لا ؟ وهم ينشدون أحلى نشيد : الله أكبر الله أكبر . . ويرددون أحلى شهادتين في الوجود . . أشهد أن لا إله إلا الله . . وأشهد أن

(١) ٣ الصف .

(٢) ٤٣ ، ٤٤ طه .

(٣) ٣٣ فصلت .

محمدًا رسول الله .. ويدعون الناس إلى الصلاة وإلى الفلاح .. والنجاح .. حي على الصلاة .. حي على الفلاح ..

يقول الهادي البشير (عليه السلام) :

« المؤذنون أطولكم أعتاقاً يوم القيامة » (١) .

وكان بلال بن رباح مذن الرسول (عليه السلام) وإمام المؤذنين إلى يوم الدين ..

قد عزم ألا يؤذن بعد وفاة الرسول (عليه السلام) وترك المدينة واستقر بالعراق فترة من الزمن إلى أن جاءه رسول الله (عليه السلام) في المنام .. فقال له : ما هذه الجفوة يا بلال .. ألا تزورني ؟!

فقام بلال من نومه .. عوراً يبكى .. وركب دابته إلى المدينة .. وكله شوق إلى بلد الحبيب المصطفى (عليه السلام) .. ووقف بلال أمام قبر النبي (عليه السلام) كما يقف في الصلاة .. خاشعاً متبتلاً .. يتنسم نسمة الطاهرة .. ويسترجع الذكرى العطرة .. سابحاً في بحر من الأشواق يتشد الأعبة .. محمدًا وصحبه ..

وبينما هو كذلك في حديقة العطر ، ويستأن الإيمان ، إذ تطوف حوله ريحانتان .. كان يشمهما النبي (عليه السلام) في الدنيا .. يجد الحسن والحسين في روضة الإيمان يحتضنانه .. ويقبلانه .. ويكيان .. ثم يتمالك بلال نفسه عندما رآهما .. فبكى وانفطر .. وانكب على قبر النبي (عليه السلام) يذرب الدمع والأنين .. والشوق والحنين .. فلدنا منه الحسن والحسين يناشدانه بالله أن يسمعهما صوته .. وأن يؤذن كما كان يؤذن أيام النبي (عليه السلام) .. فلم يجد بلال بداً من أن يرجع عن قراره القديم .. الذي أخذه على نفسه .. ألا يؤذن لأحد بعد النبي (عليه السلام) .. قد وجد في الحسن والحسين صورة جدهما محمد (عليه السلام) فمن أراد أن ينظر إلى النبي (عليه السلام) فليُنظر إلى الحسن والحسين .. وتقدم بلال بجر خطاه .. وصعد فوق سطح المسجد لنبوى .. كما كان يفعل أيام النبي (عليه السلام) وأذن : الله أكبر .. فلما فارجت المدينة .. فلما قاد : أشهد أن لا إله إلا الله .. ضجت المدينة عن آخرها .. فلما قال : أشهد أن محمدًا رسول الله (عليه السلام) خرجت المدينة على بكرة أبيها .. مرتجفة خاشعة وكأنه يوم الحشر الأكبر .. والناس يتساءلون :

هل بعث محمد (عليه السلام) من جديد .. ؟!

(١) رواه أحمد والطبراني .

فقد أهاج بلال (رضي الله عنه) الذكرى العظيمة . . وحرك الأشجان القديمة . . والناس بين
باك وخاشع وراكم وساجد . .

وكيف لا ؟

وقد أعاد إليهم صوتاً من الجنة . . . ارتبط عطاؤه بالحبيب المصطفى (ﷺ) الذي
اتصلت أنواره بالفردوس الأعلى . . والنور المقدس . . بالذات العلية . . والروح
القدس . . والأرواح القدسية . . بالأنوار اللدنية . .

من مأثور كلام المصطفى (ﷺ) :

* « ثلاثة على كتابان المسك يوم القيامة . يغبطهم الأولون والآخرين .

١ - عبد أدى حق الله وحق مواليه . . أى : لم يشغله عمله عن حقوق الله عليه .

٢ - ورجل أمّ قوماً وهم به راضون

٣ - ورجل ينادى بالصلوات الخمس فى كل يوم وليلة ^(١) .

* « لو يعلم الناس ما فى الأذان لتضاربوا عليه بالسيوف ^(٢) »

* « اللهم اغفر للمؤذنين ^(٣) .

* « أحب عباد الله إلى الله المؤذنون ^(٤) .

فإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول . ثم صلوا على الرسول (ﷺ) .

• • •

(١) رواه أحمد وأحمد والترمذى .

(٢) رواه أحمد .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط .

﴿ الله لطيف بعباده ﴾^(١)

« لا يرد القضاء إلا الدعاء
ولا يزيد في العمر إلا البر »^(٢)

(١) ١٩ الشورى
(٢) رواه الترمذي .

إن ربي لطيف لما يشاء

يقول تعالى :

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(١).

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(٣).

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

* « لا يرد القضاء إلا الدعاء . . ولا يزيد في العمر إلا البر »^(٤).

* « الدعاء سلاح المؤمن . . وعماد الدين . . ونور السموات والأرض »^(٥).

* « الدعاء هو العبادة »^(٦).

وقد جاء في الأثر :

* « اللهم إني لا أسألك رد القضاء . . ولكن أسألك اللطف فيه » . .

* « يلتقى الدعاء مع القضاء . . بين الأرض والسماء فيعتركان . . يقول القضاء : أنا

نازل بأمر الله . . ويقول الدعاء : وأنا صاعد بأمر الله . . فيهزم الدعاء القضاء » .

ويقولون :

عندما أراد إخوة يوسف أن يلقوه في الحب وهو غلام صغير . . ظلوا يبحثون عن
جب عميق موحد . . فوجدوا بئراً موحداً مظلماً عميقاً . . وهموا باللقائه فيه . . فتعلق
بهم . . وتوسل إليهم وهو يبكي : ألا يرموه في ظلمات البئر . . فأبوا . . وخلعوا عنه
قميصه . . وطرحوه على الأرض وأوثقوه بالحبال . . حتى يسقط في أعماق البئر دون
عناء . . فلما رأى يوسف إصرارهم على التخلص منه . . ورأى نار الغضب تخرج شرراً
من أعينهم ، قال لهم يستعطفهم : يا إخوتي ردوا على قميصي . . فإذا أنا عشت كان
غطائي . . وإذا أنا مت كان كفني . .

(٢) ١٤ الملك .

(١) ١٩ الشورى .

(٤) رواه الترمذي عن سلمان الفارسي .

(٣) ٣٤ الأحزاب .

(٦) رواه مسلم وغيره .

(٥) رواه الحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

قالوا له : ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر الذين سجدوا لك فليغطوك . .
وليكفنونك . . وربطوه فى الحبل ودلوه . . حتى بلغ منتصف البشر . . وهو يصرخ
ويستغيث . . ولا مغيث . . وقد قست قلوبهم . . فهي كالحجارة أو أشد قسوة . . حتى
اختفى صوته أو كاد يختفى . . عندئذ قطعوا الحبل بغلظة وقسوة . . فسقط فى الحال فى
ماء الحب لعله يموت .

فظل يقاوم الماء والظلام . . والبشر والصخور والهوام . . حتى ينجو من الموت . .
فتزل جبريل عليه السلام . . والتقطه من البشر . . ومسح عنه الحزن والخوف . . وقال له :
هل أدلك على كلمات تنجيك من هذا الكرب العظيم ؟ فقال : نعم . .

قال : قل : « اللهم يا سامع كل نجوى . . ويا شاهد كل بلوى . . ويا صاحب كل
غريب . . ويا مؤنس كل وحيد . . ويا مفرج كل كرب . . اتنى بالفرج والرجاء . .
واقذف رجاءك فى قلبى حتى لا أرجو أحداً سواك » . .

وما كاد ينتهى من دعائه هذا . . حتى وجد دلواً ينزل عليه . . فتعلق فيه . . فلما
جذبه صاحبه . . ورأى يوسف . . ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴾ وَشَرُّهُ بِشْمَنْ يَبْخُسُ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ
لَا مَرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَلْنَا أَوْ تَتَخَذَهُ وَدَاً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

وهذا من لطف الله بيوسف عليه السلام . . فقد أراد به إخوته ذلاً فجعله الله عزيزاً . .
وأراد به فقراً . . فجعله الله غنياً . . وأرادوه عبداً . . فجعله الله ملكاً . . وملك مصر . .
وأحوجهم إليه . . وجاء بهم جميعاً . . وعفا عنهم . . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ
سُجُودًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ
هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

• • •

(١) ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ يوسف .

(٢) ١٠٠ يوسف .

وهذا سر من أسرار الله

* إن من أسرار القرآن . . ومن أسرار نصر الله ليوسف عليه السلام . . قوله تعالى : ﴿ إن ربى لطيف لما يشاء ﴾ فقد لقنها الله ليوسف عليه السلام . . فنقله الله من الظلمات إلى النور . . ومن الدل إلى العز . . ومن العبودية . . إلى أن صار عزيز مصر . . وأسجد إليه أبويه وإخوته . .

.. فسبحان الله ..

انظر . . كيف نصر الله يوسف على أخوته . . وكيف جعله عليهم . . وكيف أحوجهم إليه . . وكيف أذلهم وأعزه . . وكيف أفقرهم وأغناه . . وكيف وضعهم ورفعهم . . فقد ألقوه فى الجب ليموت . . وتصفو لهم الحياة . . فأحياه الله أعظم حياة . . وعكر عليهم صفو الحياة . . انظر . . لم يرحموه وهو الذى لم يقترب ذنبا . . ورحمهم وكانوا آثمين . . ﴿ قَالَ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بَيْعُ الْيَوْمِ الْيَوْمَ بَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١) وقد أرادوا به كيداً . . وأراد الله به مجداً . . حتى أصبحت له سورة فى القرآن . . يتعبد بها إلى يوم القيامة . . وأصبح اسم يوسف على كل لسان . . وأصبح اسم يوسف من كلمات الله الخالدة . . التالدة . . إلى يوم القيامة . . فلا يذكر اسم يوسف . . إلا ويذكر معه الجمال . . فقد أوتى شطر الحسن والجمال . . ولا يذكر اسم يوسف إلا ويقال عليه السلام . . ولا يذكر إخوة يوسف إلا ويمسك المسلمون عن الكلام . . ويصفهم الجاهلون باللثام . . وينسون أنهم إخوة كرام . . ليوسف عليه السلام . .

عليه الصلاة عليه السلام	رسول الجمال . . أمير الأنام
سمير الكواكب . . زهر النجوم	وشمس المكارم . . بدر التمام
ففى خافقيه حور حسان	وفى مقلتيه ملوك كرام
وفى أصغريه جنات عدن	وتحت يديه دار السلام

ومن قطوف الحكمة :
 يقول رسول الله (ﷺ) :
 إن الله عز وجل يقول :
 « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني » (١) .
 « ومن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد . . فليكثر من الدعاء عند الرخاء » (٢) .
 ومن قطوف الشعر :

يا لطيفاً بخلقهِ أنت تعطى وتمنعُ
 قد تحيرت سيدي دلني كيف أصنعُ

• • •

وكان الإنسان عجولاً

يقول تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .
 ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (٤) .
 ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥) .
 ويقول الهادي البشير (ﷺ) :
 « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس . . . » (٦) .
 « لا يغنى حذر من قدر . . والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن البلاء ينزل فيلقاه
 الدعاء . . فيعتلجان إلى يوم القيامة » (٧) .

(١) متفق عليه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

(٣) ١٦ لقمان . (٤) ١٦ التحل .

(٥) ١٠٣ الأنعام . (٦) متفق عليه .

(٧) رواه البزار والطبراني عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) .

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾^(١)

ولقد كان سليمان عليه السلام من الذين علمهم الله المنطق وآتاهم ملكاً عظيماً . .
فكان عليه السلام يكلم الطير والحيوان والدواب . . فكان يكلم الهدد والنملة
والقطة . . . إلخ .

وذات يوم جاءه سائل علم . وقال له : يا نبي الله . . علمنى منطق القطط . . فإنها
تعلم بعض الغيبات . . ومكشوف عنها الحجاب . . وأريد أن أعلم عنها شيئاً . .
فقال له سليمان عليه السلام :

دعك من هذا . . واشكر الله على ما أنت فيه . .

قال له : ناشدتك بالله . . يا نبي الله . . أن تعلمنى منطق القطط . .

قال له سليمان عليه السلام :

أخشى عليك منها . .

قال له :

لا تخش على . .

فعلمه سليمان عليه السلام منطق القطط .

ورجع الرجل إلى بيته سعيداً بهذا العلم الجديد . . والمنطق السديد . . فجلس إلى
أهله مغتبطاً مسروراً . . وكانت عنده قطتان . . فأرهم أذنيه يستمع إليهما . . فسمع
إحدهما تكلم الأخرى وتقول :

نحن جائعتان . .

فقالت لها : اصبرى . . فإن سيدتى هذى . . سوف تقع غداً وتنكسر ساقها . .
وسوف يلذع سيدى شاة فداء لها . . وسوف نأكل لحماً وثريداً . . ونشرب مرقه حتى
نشبع . .

سمع الرجل ما دار من حوار . . وابتسم . . وأسرع إلى زوجته وربطها على سريرها
حتى لا تقع . . ولا تنكسر . . ومضى اليوم بسلام . .

(١) ٣٧ الأنبياء .

فقال القطة لرفيقتها : ها هي الشمس قد غربت ولم تنكسر رجل سيدتي . . ولم تذبح الشاة . . ولم نأكل لحماً ولا ثريداً ولم نشرب مرقه . . حتى نشبع . . كما قلت . . وقد ازددنا جوعاً على جوعنا .

قالت لها : اصبري سوف يقع جمل سيدى ويصاب فى رأسه . . ويجرح فى رقبته . . وسوف يذبح سيدى شاة فداء لهذا الجمل . . وسوف نأكل لحماً وثریداً . . ونشرب مرقه حتى نشبع . .

سمع الرجل ما دار من حوار . . وذهب إلى الجمل . . وربطه . . وشد وثاقه جيداً . . حتى لا يصاب بأذى . .

ومضى اليوم التالى بسلام دون أن يمس الجمل بأذى . .

فقال القطة لرفيقتها : ها هي الشمس قد غربت . . ولم يصب الجمل بسوء . . ولم تذبح الشاة . . ولم نأكل لحماً ولا ثريداً . . ولم نشرب مرقه حتى نشبع . . كما قلت . . وقد ازددنا جوعاً على جوعنا . . لليوم الثالث على التوالى . .

قالت لها : اصبري . . سوف يموت سيدى غداً . . وسوف يذبحون شاة للمعزين . . ونأكل لحماً وثریداً . . ونشرب مرقه حتى نشبع . .

قالت لها : متى ؟

قالت لها : غداً إن شاء الله . .

فقام الرجل مذعوراً إلى نبي الله سليمان (عليه السلام) وقص عليه ما قالته القطة . . قال له سليمان (عليه السلام) :

لقد نصحتك فأبيت . . وتطلعت إلى الغيب وطغيت . .

قال : كيف ؟

قال : لقد لطف الله بك فلم تقبل . .

قال : كيف ؟

قال : لقد أراد الله أن يفديك بكسر رجل زوجتك . . فأبيت . .

فأراد أن يفديك بجرح رأس جملك . . فأبيت . .

فلما لم ترض بلطف الله بك . . أطلق الله قضاءه فيك . .

قال : وما العمل يا نبي الله ؟

قال : قضى الأمر . ١

قال له : ماذا تعنى ؟

قال له : ستموت غداً إن شاء الله .

وهكذا . .

فلو ترك الله الأمر لابن آدم لأهلك نفسه بنفسه . . فهاهو عجول . . وهاهو جهول . . فكم يدعو على نفسه . . وهو يظن أنه يدعو لنفسه . . وكم يستعجل الإجابة وفيها هلاكه . . وكم يرجو من الله . . ما لا يرجوه الله له . . لضيق أفقه . . وقصر نظره . .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١)

وجاء فى الأثر :

* لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع .

* لن يهلك مع الدعاء أحد .

وجاء فى الشعر :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل

• • •

اللهم زد أمتى

قال تعالى :

* ﴿ وَلَتَبْلُوَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ .

ويقول تعالى فى الحديث القدسى :

« إذا ابتليت عبدي بمصيبة فى ماله .. أو أهله .. أو بدنه .. فصبر صبراً جميلاً .. استحيت يوم القيامة .. أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً » .

(١) ١١ الإسراء .

(٢) ١٥٥ ، ١٥٧ البقرة .

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« إذا أحب الله عبداً ابتلاه .. فإذا رضى بما ابتلاه اصطفاه .. (١) .
هذا ..

ولما نزل قوله تعالى :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ... ﴾ (٢)

رفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء .. وقال :

« اللهم زد أمتي !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْقَالٍ ... ﴾ (٣)

فرجع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء .. وقال :

« اللهم زد أمتي !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ
حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

فرجع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء .. وقال :

« اللهم زد أمتي !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّلِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥)

فرجع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء .. وقال :

« اللهم زد أمتي !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٦)

فرجع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء .. وقال :

« يارب لن أرضى وواحد من أمتي فى النار » .

(٢) ٨٤ القصص .

(٤) ٢٦١ البقرة .

(٦) ٥ الفصحى .

(١) رواه الطبرانى .

(٣) ١٦٠ الأنعام .

(٥) ١٠ الزمر .

فقال الله تعالى :

« يا محمد !! لو شئت جعلت أمر أمتك إليك » ..

فقال رسول الله (ﷺ) :

« لا .. يا رب .. أنت أرحم بهم مني . »

قال الله تعالى :

« إذن لا أخزيك فيهم أبداً » ..

- ومن أجمل ما قيل في هذا .. ما ورد أن جعفر الصادق (عليه السلام) قال :

عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع :

١ - **الخشوف** : عجبت لمن ابتلى بالخوف .. كيف يغفل عن قول الله تعالى :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ... ﴾ (١) .

ولقد سمعت الله بأذني يقول بعقبها :

﴿ فَاَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

٢ - **مكرو الناس** : وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس .. كيف يغفل عن قوله تعالى :

﴿ وَأَفْرِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣) .

ولقد سمعت الله بأذني يقول بعقبها :

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (٤) .

٣ - **كشف الضر** : وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن قول الله تعالى :

﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .. ﴾ (٥) .

ولقد سمعت الله بأذني يقول بعقبها :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (٦) .

(٥) ٨٣ الأنبياء .

(٣) ٤٤ غافر .

(١) ١٧٣ آل عمران .

(٦) ٨٤ الأنبياء .

(٤) ٤٥ غافر .

(٢) ١٧٤ آل عمران .

٤ - **كشف الغم** : وعجبت لمن ابتلى بالغم . . كيف يغفل عن قوله تعالى :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

ولقد سمعت الله بأذنى يقول بعقبها :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

• • •

خيراً منها

وعندما مات أبو سلمة زوج أم سلمة . . قال الناس لها :

قولى : اللهم أجرنى فى مصيبتى . . واخلف لى خيراً منها .

ف قالت لهم : ومن كأبى سلمة . . حتى يخلف لى الله خيراً منه ١٩

قالوا لها : قولها

فلقد سمعنا رسول الله (ﷺ) يقول :

« إذا أصاب أحدكم مصيبة . . فقال :

إنا لله وإنا إليه راجعون !!

اللهم أجرنى فى مصيبتى . . واخلف لى خيراً منها .

إلا أجره الله فى مصيبته . . وأخلفه خيراً منها . . »

ف قالتها . أم سلمة .

فأخلفها الله خيراً من أبى سلمة . .

وخطبها رسول الله (ﷺ) . . وأصبحت زوجاً لرسول الله (ﷺ) . . وأماً للمؤمنين . .

وصدق الله ورسوله (ﷺ) .

• • •

(١) ٨٧ الأنبياء .

(٢) ٨٨ الأنبياء .

قطوف

ومن قطوف الحكمة النبوية :

- * « المصيبة تبيض وجه صاحبها .. يوم تسود الوجوه » (١) ..
- * « لا وصب ولا نصب ولا حتى الشوكة .. يشاك بها الرجل في قدمه .. إلا كفر الله بها ذنباً .. وحط بها خطيئة » (٢) ..
- * « من يرد الله به خيراً : يصب منه .. أى : يتليه بمصيبة » (٣) ..

بذنبى

- وكانت السيدة أسماء (رضى الله عنها) ..
- إذا أصابها مصيبة .. أو أصابها مكروه .. عظم أو حقر .. قلّ أو كثر .. قالت :
- « بذنبى » ..
- أى : إن هذا .. بعاقبتى .. أى : بعملى .. فتتهم نفسها : أن هذا الذى جرى لها .. بذنبها وعملها .. وليس من عند الله .. لأن كل ما عند الله خير .. ولا يأتى الله إلا بالخير ..

قطوف وحروف

جاء فى الأثر :

- * « ما أخطأك لم يكن ليصيبك .. وما أصابك لم يكن ليخطئك .. »
- * « لا ينزل عذاب من السماء إلا بذنب .. ولا يرفع إلا بتوب .. »
- * « الإيمان نصفان : نصف صبر .. ونصف شكر .. »
- ومن أجمل ما قيل :
- * « النصر مع الصبر .. »
- * « الشجاعة .. صبر ساعة .. »
- * « لا كرب ولى رب .. »

• • •

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن بن عباس .
 (٢) رواه أحمد .
 (٣) رواه البخارى ومسلم .

حق الجار

قال تعالى .

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ (١)

قال الهادي البشير :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٢) .

(١) ٣٦ النساء

(٢) حديث شريف

حقوق الجار

يقول تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١).

يقول رسول الله (ﷺ) :

* « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » (٢).

* « والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » (٣).

* « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » (٤).

* « لأن يزني الرجل بعشرة نساء .. أيسر عليه من أن يزني بحليلة جاره » (٥).

* « ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات .. أيسر عليه من أن يسرق من جاره » (٦).

• • •

كل أربعين داراً جار

هذا ..

ولقد بعث النبي (ﷺ) أبا بكر وعمر وعلياً (رضي الله عنهم) .. يأتون المسجد .. فيقومون على بابه فيصيحون : « ألا إن أربعين داراً جار .. » (٧).

أى : أن أربعين جاراً من اليمين .. وأربعين جاراً من الشمال .. وأربعين جاراً من الشرق .. وأربعين جاراً من الغرب .. يعنى : يعتبر جاراً لك كل من كان بينه وبين بيتك أربعون بيتاً من جميع الجهات .. أى : أن كل الناس جيران ..

• • •

- | | |
|-----------------|---------------------|
| (١) ٣٦ النساء . | (٤) رواه مسلم . |
| (٢) متفق عليه . | (٥) رواه الطبراني . |
| (٣) متفق عليه . | (٦) رواه أحمد . |
| | (٧) رواه الطبراني . |

الجار الملعون

وعن أبي جحيفة (رضي الله عنه) قال : « جاء رجل إلى الرسول (ﷺ) يشكو جاره .. فقال له النبي (ﷺ) : اذهب فاصبر .. ثم جاءه مرة أخرى .. فقال له : اذهب فاصبر .. ثم جاءه الثالثة .. فقال له : اذهب فاطرح متاعك في الطريق .. ففعل .. فجعل الناس يرون ويسألونه .. فيخبرهم خبر جاره .. فجعلوا يلعنونه .. ويدعون عليه .. فجاء الرجل إلى النبي (ﷺ) وقال : لقيت من الناس .. قال : وما لقيت منهم ؟ قال : يلعنونني .. قال : لقد لعنك الله قبل الناس .. فقال إني لا أعود .. وذهب إلى جاره وقال : رد متاعك فإنني لا أؤذك أبداً .. فقال له النبي (ﷺ) : ارفع متاعك فقد كفيت^(١) ..

وهذا درس عظيم من دروس النبوة .. يوحى ببعد النظر .. وسياسة الأمور ..



حقوق الجار عشرة

ولما كان حق الجار عظيماً عند الله .. أوصى به وصية تقترب من الفريضة .. وذلك لأنه أقرب الناس إليك .. فهو أقرب من الأخ والأخت وأقرب من الأهل .. لأنه أول من يسمعك إذا ناديت .. وأول من يجيبك إذا سألت .. وأول من يغيثك إذا استغثت .. وأول من يهنئك إذا فرحت .. وأول من يعزيك إذا حزنت .. وأول من يكفيك إذا احتجت .. وأول من يعطيك إذا حرمت .. وأول من يسترک إذا انكشفت .. وأول من يرضيك إذا غضبت .. وأول من يحملك إذا أصبت .. وأول من يعودك إذا مرضت .. وأول من يشيعك إذا مات ..

وهكذا فإن الجار .. أقرب الأقربين إليك إذا صح جواره ..

فلقد جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال :

يا رسول الله ما حق الجار ؟ قال (ﷺ) :

(١) رواه أبو داود والحاكم .

« أتدري ما حق الجار ؟ :

- ١ - إذا استعانك أعتته . .
- ٢ - وإذا استقرضك أقرضته . .
- ٣ - وإذا افتقر أغنيته . .
- ٤ - وإذا مرض عدته . .
- ٥ - وإذا أصابه خير هنأته . .
- ٦ - وإذا أصابه مصيبة عزته . .
- ٧ - وإذا مات شيعته . .
- ٨ - ولا تستطيل عليه بالبنیان . . فتحجب عنه الريح إلا بإذنه . .
- ٩ - ولا تؤذ به بقتار ريح قدرك . . إلا أن تغرف له منها . .
- ١٠ - وإن اشتريت فاكهة . . فأهد له . . فإن لم تفعل . . فأدخلها سراً . .
ولا يخرج بها وللك ليغيب بها ولده . .^(١)

• • •

ثلاثة في النار

هذا . .

وقد روى فضالة بن عبيد الله (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« ثلاثة من الفواقر :

- ❖ إمام إن أحسنت لم يشكر . . وإن أسأت لم يغفر . .
- ❖ وجار سوء إن رأى خيراً دفنه . . وإن رأى شراً أذاعه . .
- ❖ وامرأة إن حضرت آذتك . . وإن غبت عنها خانتك^(٢) .

(١) رواه الخرائطي من مكارم الأخلاق .

(٢) رواه الطبراني .

هذا :

وإن الجار لا يكون مؤمناً حقاً .. إذا كان يملك فضلاً ولا يعود به على جاره إذا كان في حاجة .. أو ينأى مسروراً وجاره حزين .. أو ينأى شبعاناً وجاره جائع .. وهو يعلم ... إلخ .

وهذه دعوة للتعاون والتكافل من أجل توثيق عرى المحبة والمودة بين المسلمين ..
ففي الحديث الشريف :

« ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع .. »^(١) .

إلى هذا الحد يهتم الإسلام بحقوق الجار على جاره .. ويزيد فيها إلى درجة سامية ..

فقد روى رجل من الأنصار .. فقال :

« خرجت مع أهلى أريد النبى (ﷺ) .. وإذا به قائم .. وإذا رجل مقبل عليه فظننت أن له حاجة .. فجلست .. فوالله .. لقد قام رسول الله (ﷺ) حتى جعلت أرثى له .. أى : أشفق عليه .. من طول القيام .. ثم انصرف .. فقممت إليه .. فقلت : يا رسول الله .. لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام .. قال : أتدري من هذا ؟ قلت : لا .. قال : جبريل (عليه السلام) .. ما زال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ... أما إنك لو سلمت عليه .. لرد عليك السلام .. »^(٢) .

هذا ..

ولقد كان الجار من وصايا الرسول (ﷺ) فى حجة الوداع .. ودائماً .. تكون الوصايا الأخيرة بالأمور العظيمة ..

فعن أبى أمامة (رضي الله عنه) قال :

« سمعت النبى (ﷺ) وهو على ناقته القصواء .. فى حجة الوداع .. يقول : أوصيكم بالجار حتى أكثر .. فقلت : إنه يورثه »^(٣) .

• • •

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد والطبرانى .

(٣) رواه الطبرانى .

الجيران ثلاثة .. والحقوق ثلاثة

هذا ..

وإن الوصية بالجار : تشمل كل الجيران الجار المسلم القريب والجار المسلم والجار الذمى أو الكافر .. لا فرق بينهم فى الحقوق .. فلكل من هؤلاء حقوق ينبغى مراعاتها .. فما هى هذه الحقوق ؟ ومن هم هؤلاء الجيران ؟!

١ - الجار المسلم القريب .. له ثلاثة حقوق :

* حق الإسلام . * حق القرابة * وحق الجوار

٢ - الجار المسلم له حقان :

* حق الإسلام . * وحق الجوار

٣ - الجار الغير مسلم . له حق واحد

* حق الجوار .

إلى هذا الحد كفل الإسلام حتى للكافر حقوقاً يحفظها له جاره ويحفظ له جواره .. ليعم السلام .. ربوع الأرض وتلك سماحة الإسلام . التى أظلت أهل الكتاب .. وأظلت الكفرة والمشركين تحت ظلال . لا إكراه فى الدين

• • •

أسوة حسنة

وهذا رسول الله (ﷺ) أول من يحفظ هذه الحقوق ويعمل بها ليضرب المثل .. ويسن السنة .. ويكون القدوة لصحابته ولمن جاء بعده من المسلمين

ونحن نعلم قصة اليهودى الذى كان يلقي بفضلاته أمام بيت رسول الله (ﷺ) وكان النبى (ﷺ) يزيلها كل صباح .. وذات صباح . قام النبى (ﷺ) فلم يجد ما اعتاده من اليهودى .. فسأل عنه .. فقيل : إنه مريض فذهب إليه النبى (ﷺ) ليعوده . فأصابته اليهودى قشعريرة الإيمان .. فقال :

يا رسول الله .. أذكى وتعودنى وأضرك فتتفنعنى وأسيئك وتحسن إليّ
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!

مكارم الأخلاق

بتلك الأخلاق الكريمة .. والمكارم العظيمة .. كان النبي (ﷺ) يعامل من جاوره .. حتى وإن آذاه .. فيحول العداوة محبة .. والإساءة حسنى .. والشر خيراً .. والكفر إيماناً .. وصدق الله العظيم : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِمَاذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ..﴾ (١).

وهذا .. هو عبد الله بن عمر تلميذ النبوة .. (رضي الله عنه) يذبح شاة .. ويسأل أهله : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ أهديتم لجارنا اليهودي ؟

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٢).

وإذا كان ذلك كذلك ..

فإن الجار الصالح .. من سعادة المسلم ..

فإذا كان الجار صالحاً .. كان ذلك من حسن توفيق الله له .. لأنه .. يخاف عليه ما يخافه على نفسه .. ويحب له ما يحبه لنفسه .. فيأمنه على نفسه وأهله وماله إذا غاب .. ويؤنس إذا حضر .. إلخ .

يقول رسول الله (ﷺ) :

« أربع من السعادة :

٢ - الدار الواسعة .

١ - المرأة الصالحة .

٤ - المركب الهنيء .

٣ - الجار الصالح .

وأربع من الشقاء :

٢ - والجار السوء .

١ - المرأة السوء .

٤ - والمسكن الضيق » (٣).

٣ - والمركب السوء .

(١) ٣٤ ، ٣٥ فصلت .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه ابن حبان .

ويقولون : « الجار وإن جار »^(١).

أى أحسن إلى جارك . . وإن جار عليك وظلمك لأن الإسلام يأمرنا بالإحسان إلى الناس جميعاً . . وخاصة المسلمين منهم . والمسلمين جميعاً وخاصة الجيران منهم . . والجيران جميعاً وخاصة القريب منهم هذا

وإن الله تعالى يدفع بالجار الصالح الكرب والبلاء عن حوله من الجيران فيكون بركة على من يحيطون به وسلاماً على من يجاورونه وفي الحديث الشريف يقول الهادى البشير (عليه السلام) « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (سورة) :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »^(٢) من هنا نقول :

من شهد له جيرانه بالصلاح فهو كذلك ومن شهد له جيرانه بالفساد فهو كذلك لأن الجار هو المحك الحقيقي لجاره ولا يستطيع الجار أن يخفى عيوبه عن جاره وإن أخفاها عن الناس .

فالجار هو الشاهد على جاره يوم القيامة فإن شهد له بالخير فهو من أهل الخير . . وإن شهد له بالشر . . فهو من أهل الشر وإن صلى وصام يقول أبو هريرة (رضي الله عنه) . . قال رجل : يا رسول الله

« إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هي في النار .

قال : يا رسول الله . . فإن فلانة قليلة الصيام قليلة الصلاة قليلة الصدقة وتحسن إلى جيرانها . . قال : هي في الجنة !! »^(٣)

(١) حكمة صارت مثلاً في إكرام الجار

(٢) رواه الطبراني في الكبير

(٣) رواه أحمد

هذا . .

وقد جاء فى الأثر :

- * ألا إن أربعين داراً جار . . من الأمام ، ومن الخلف ، ومن اليمين ، ومن اليسار .
- * ما آمن من بات شعبان وجاره جائع .
- * أول ما يفصل فيه يوم القيامة بين جارين .
- * أول من يدخل النار يوم القيامة . . جار أذى جاره .

• • •

حق الجار على الجار

يقول تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ النُّجْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ (١).

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

- * « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع » (٢).
- * « من أذى جاره فقد آذاني .. ومن آذاني فقد أذى الله .. ومن جارب جاره فقد حاربتني .. ومن حاربتني فقد حارب الله عز وجل » (٣).
- * « أحسن إلى جارك تكن مؤمناً » (٤).
- * « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه .. وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » (٥).
- * « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .. قالوا : يا رسول الله .. وما حق الجار على الجار ؟
- قال : إذا سألك فاعطه » (٦).

(١) ٣٦ النساء .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه ابن حبان .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) رواه الأصبهاني .

أوصيكم بالجار

لقد ظل النبي (ﷺ) يوصي بالجار حتى آخر أيامه في حجة الوداع : « أوصيكم بالجار .. أوصيكم بالجار .. حتى ظن الصحابة أنه سيورثه »^(١)

وكان يحذر ويبصر ، . فيقول : « أول عصمين يوم القيامة جاران »^(٢) . وهذا لا يتعارض مع قوله (ﷺ) : « أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء » فقد يكونا جارين قتل أحدهما الآخر . . وقد يكونا قابيل وهابيل أليسا جارين فضلاً عن أنهما أخوان .

من أجل هذا

كان النبي (ﷺ) يستعمل بالله من جار السوء في دار المقامة أي في الإقامة الدائمة المستمرة . . فكان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول »^(٣) . أي : لأنهم يسكنون الخيام . . ويتنقلون من مكان إلى آخر حسب الكلا والمرعى

• • •

من شيمة الكرام

إن الإحسان إلى الجار وإن كان كافراً من شيمة المسلمين الكرام فهذا عبد الله ابن عمر (رضي الله عنهما) كان إذا ذبحت له شاة في أهله قال هل أهديتم لجارنا اليهودي . هل أهديتم لجارنا اليهودي ؟ فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »^(٤)

وهذا أبو ذر يقول : « أوصاني خليلي (ﷺ) قال : « يا أبا ذر .. إذا طبخت مرقة فاكثر ماءها .. وتعاهد جيرانك »^(٥)

ولا عجب في هذا وقد قال المصطفى (ﷺ)

« إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح .. عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء . ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ »^(٦)

(٤) رواه الترمذی

(٥) رواه مسلم

(٦) رواه الطبرانی

(١) رواه الطبرانی .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابن حبان .

أكرم العرب

ومن هؤلاء الذين يدفع الله بهم البلاء : سعيد بن العاص تلميذ النبی (ﷺ) الذي كان يدخل على جيرانه البهجة والسرور .. فيسعد الحزين .. ويساعد المحتاج .. ويعالج المريض .. ويغيث الملهوف .. ويؤدي دين المدين .. دون أن يجرح شعوراً .. أو يخذش حياة .. فكانوا يطلقون عليه أكرم العرب .. وخير الجيران ..

فما يكاد ينمو إلى علمه : أن أحد جيرانه .. في حاجة إلى مال أو متاع أو طبيب .. أو إلى شيء من هذا القبيل .. إلا أسرع إليه ولبى نداءه في خفاء ودون ضجة .. فقد علم أن جاراً له يبيع داره من أجل دين عليه .. فسأل عن حجم هذا الدين .. فقبل له أربعة آلاف درهم .. فأرسل إلى صاحب الدين وقال له : المبلغ على .. وأرسل إلى جاره .. وقال له : لقد أدى الله عنك دينك .. وبارك الله لك في دارك ..

و ذات يوم نزلت بأحد جيرانه نازلة .. فقالت له امرأته .. إن أميرنا سعيد بن العاص رجل صالح كريم .. لا يرد من جاءه أبداً .. فلو أخبرته عن حالك .. لمد إليك يده .. فقال لها : لا تزيقي ماء وجهي .. ولا تحمليني ذل السؤال .. فألحت عليه .. حتى ذهب إليه .. ولكنه لم يتكلم حياة وعفة .. فلما انصرف الناس .. وظل الرجل جالساً .. قال له سعيد : ألك حاجة ؟ فسكت الرجل حياة وخجلاً .. فقال سعيد لمن حوله : انصرفوا ثم قال له : لم يبق غيري .. فتكلم .. ولكنه ظل صامتاً .. فأطفا سعيد المصباح .. ثم قال له : رحمك الله .. لست ترى وجهي .. فاذا كنت حاجتك وتكلم .. فقال الرجل : أصلح الله الأمير .. فقد أصابتنا فاقة .. فاستحييت أن أذكرها .. فقال له سعيد : إذا أصبحت فأتني .. وفي الصباح جاء الرجل وقابله سعيد وأمر له بخير كثير .. وقال له الوكلاء : هيا فأت بمن يحمله لك .. فقال ما عندي ما يحمله .. وذهب إلى امرأته يلونها لوماً شديداً .. ويقول لها : لقد حملتني على المسألة .. وها هو قد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ... وما أظنه إلا طعاماً أو شعيراً .. فلو كان مالاً لأعطانيه إياه .. وبينما هو يلوم زوجته .. إذ طرق الباب طارق .. وإذا بالباب ثلاثة غلمان .. قد بعث بهم الأمير سعيد .. يحمل كل واحد منهم على رأسه عشرة آلاف درهم .. وانتظر أن ينصرفوا .. فأخبروه : أن الأمير قد أهدانا لك .. فإنه لم يبعث بهدية إلى أحد .. إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها .. أي : ضمن الهدية .

وذات يوم سأله سائل فأمر له سعيد بمائة ألف درهم . . فبكى الرجل . . فقال له سعيد : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أن تأكل الأرض مثلك . . فأمر له بمائة ألف أخرى !!
إلى هذا الحد . . كان سعيد بن العاص . . يكرم جيرانه . . ويرعى حقوقهم عليه . . ويقضى عنهم حاجاتهم . . وهو سعيد بذلك . . يقول لأحد أولاده . . يا بني : لو جاءك جارك في حاجة . . وأعطيته كل ما تملك ما كافأته . .

لأجل هذا . . فأكرم جارك وأحسن إليه . . واعلم أن : كل أربعين داراً جار . . من الأمام والخلف واليمين والشمال . . فكل الناس جيران . . وكل الناس إخوان . . وكل الناس صنوان وغير صنوان . . وكل الناس سيان . . وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(١)

هذا . . واعلم أن : الدم واللحم جاران . . واللحم والعظم جاران . . والروح والقلب جاران . . كذلك . . والشفتان جاران . . والأسنان جيران . . والعينان جاران . . والأصابع جيران . . واليدان جاران . . والقدمان جاران . . والحواس جيران . . والجوارح جيران . . إلى آخر هؤلاء الجيران . . ونعم الجيران . . والذي لا يصلح البنيان . . إلا إذا كانوا جيران هناء وحنان . . وحب وانسجام . . يعملون وفق نظام . . وضعه من لا ينم . . فلا ينصلح حال الأجسام . . إلا إذا كان هؤلاء الجيران . . جيران إيمان وإحسان . . يراعون حق الجوار . . وإلا كان الدمار . . فليأخذ الإنسان العبرة من هؤلاء الجيران . . في نفسه . . ويتأمل ماذا يحدث لو أساء واحد من هؤلاء الأعضاء حسن الجوار . . واحتل الجسم وأصيب بالدوار . . ووهنت قواه وخار . . واضطرب العقل . . وشط وحار . . لا يعرف ماذا سيحدث . . ولا ما سيكون . .
﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

• • •

الجار وإن جار

أوصانا المختار	بالجار وإن جار
ودعانا أن نرعى	كل حقوق الجار
فله عهد أمان	وسلام وجوار
أن نحسن جيرتنا	فى ليل ونهار
نحفظه إن غاب	ونصون له الدار
فإذا احتاج لشيء	والله الستار
لبينا دعوته	وكفينا العار
نتحى عن السوء	ونقيه الأثرار
لا نؤذيه بشيء	مما يؤذى الجار
من ريح وقتار	ودخان وغبار
من يحسن للجار	يصبح فى الأبرار
فالمحسن فى الجنة	والخائن فى النار

واعلم أن الجار	توصية المختار
ووصية جبريل	عن رب غفار
فاعمل ليل نهار	بوصايا الأخيار
بالعطف على الجار	فالجار وإن جار
من خلق الإسلام	وسمات الأبرار ^(١)

جاء فى الأثر :

- * لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه .
- * من سعادة المرء . . الجار الصالح . . ومن شقاء المرء . . الجار السوء . .
- * الجار قبل الدار . . والرفيق قبل الطريق . .

(١) من شعر المؤلف .

من قطوف الحكمة^(١) :

- * قبل أن تشتري داراً للإقامة . . تخير جاراً إذا كرامة . . وقبل أن تختار طريقاً سهلاً . . تخير رفيقاً أهلاً . . وإلا كان ذلك جهلاً . .
- * قبل أن تشتري الدار . . اشتر حسن الجوار . .
- أى : قبل أن تنظر إلى حسن الدار . . انظر إلى حسن الجوار . .
- * الجار الصالح الذى يحفظ حق الجوار . . يحمي مائة جار . . من العذاب والدمار . . ويشفع لهم إن دخلوا النار . .
- * الإحسان إلى الجيران . . من علامات الإيمان . . والإساءة إلى الجيران . . من علامات الكفران . .
- * إذا أردت السلامة إلى يوم القيامة . . فعليك بالاستقامة . . ويزيدك استقامة . . ويعينك عليها ثلاثة :

- ١ - زوجة صالحة . . ذات عفة وأمانة . .
- ٢ - أخ صالح . . ذو مروءة وشهامة . .
- ٣ - عمل صالح . . ترجو من الله دوامه .

• • •

صنائع المعروف

جاء في الأثر:

* (اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله ..

فإن صادف أهله فهو أهله ..

وإن لم يصادف أهله .. فأنت أهله ..) .

* (صنائع المعروف تقى مصارع السوء) .

الشهامة والمروءة

يقول تعالى :

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

يقول الهادي البشير (رحمه الله) :

« ليس الإيمان بالتمني .. ولكن ما وقر في القلب .. وصدقه العمل .. » (٢).

• • •

الشهامة والمروءة في الإسلام

إن المروءة والشهامة من القيم السامية .. التي نادى بها الإسلام .. ودعا إليها أتباعه .. ونادى بها المصطفى (ﷺ) وهدى إليها أصحابه .. حيث يقول (ﷺ) :

* « الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » (٣).

* « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا .. نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » (٤).

* « ومن أغاث ملهوفاً .. أغاثه الله في الدنيا والآخرة » (٥).

* « ومن مشى في حاجة أخيه .. كنت له عند الميزان .. فإن رجح .. وإلا شفعت له » (٦).

* « ولأن أمشى في حاجة أخى .. خير من اعتكافى في مسجدي هذا ستين عاماً » (٧).

• • •

(١) ٩ الحشر .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٥) رواه الحاكم .

(٦) رواه الطبراني وغيره .

(٧) رواه أحمد .

(٣) رواه الترمذی .

(٤) رواه مسلم وغيره .

نبيل وكرم

ولقد كان من نبيل وكرم ومروءة وشهامة المسلمين الأوائل من الأنصار . . أن استقبلوا إخوانهم المهاجرين بالحب والترحاب والمروءة والشهامة خير استقبال وفتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم . . وقاسموهم أموالهم وأرضهم وديارهم وأهلهم . . وكان الواحد منهم يقول لأخيه المهاجر : هذا مالى أشاطرك إياه . . وهذه دارى أشاطرك إياها . . وهذه أرضى أشاطرك إياها . . وهؤلاء نسائي . . انظر إلى من يعجبك حسنهما فأطلقها لك وتزوجها . . وبلغ من سخائهم وكرمهم ومروءتهم وشهامتهم وإيثارهم . . أن مدحهم الله تعالى فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة . . يقول عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

• • •

الشهامة والمروءة قبل الإسلام

ولقد كانت آخر وصية . . أوصت بها أمة بنت وهب . . طفلها الصغير محمداً (ﷺ) قبل أن يموت . . أن قالت له : يا محمد كن رجلاً . . يا محمد كن رجلاً . . كن رجلاً . . فعمل محمد (ﷺ) بوصية والدته . . وكان رجلاً عظيماً . . رعى رجالاً عظماء . . وصنع رجالاً شرفاء . . صنع أمة من رجال كرام . . قال الله تعالى فيهم :

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ (٣) .

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا ﴾ (٤) .

(٣) ٣٧ التور .
(٤) ٢٣ الأحزاب .

(١) ٩ الحشر .
(٢) ١٠٨ التوبة .

رجال أثنى عليهم رب العزة بقوله :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١)

• • •

الكرم الطائى

وكان حاتم الطائى من ملوك المروءة والشهامة قبل الإسلام . . فكان من نبلة وكرمه ومروءته وشهامته . . أن خرج ذات يوم فى الشهر الحرام . . يطلب شيئاً . . فلما كان بأرض « عترة » ناداه أسير لهم فى الحبس :

يا أبا سفانة . . يا أبا عدى . . يا حاتم . . أكلنى الإسار والقمل من شدة الحبس وطول المدة . . فقال له حاتم :

ويلك . . ما أنا فى بلاد قرمى . . وما معى ما أفتديك به . . ولقد أسأت بى إذ نوهت باسمى . .

ثم ذهب إلى العنزيين . . وساومهم فيه . . واشتراه منهم بألف دينار . . إلا أنه لم يكن معه ما يفتديه به . . فقال لهم : خلوا سبيله . . وسأرسل لكم فى طلب المال . . قالوا له : لن نخلى سبيله حتى تأتى بالمال أولاً . . فقال لهم : خلوا سبيله . . وقيدونى مكانه . . حتى أرسل فى طلب المال . . فخلوا سبيل الرجل . . وقيدوا حاتم مكانه . . حتى جىء بالمال . . فدفعه لهم . . وأطلقوا سراحه . .

إلى هذه الدرجة كانت مروءتهم . . وهؤلاء أجدادنا قبل الإسلام . .

والى تلك الدرجة كانت شهامتهم . . وهؤلاء أجدادنا بعد الإسلام . .

فماذا جرى للمروءة والشهامة فى هذه الأيام . .

هذه دعوة للشباب للعودة إلى تاريخهم القديم وسلفهم الصالح . . فلا يتركوا المروءة تبكى ولا الشهامة تذوى حتى لا ينطبق عليهم قول الشاعر الحكيم :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت : علام تتحب الفتاة ؟

فقلت : كيف لا أبكى وقومى جميعاً دون خلق الله ماتوا ؟!

• • •

قطوف من السنة

ومن ماثور كلام المصطفى (ﷺ) :

* « إن الله خلقاً خلقهم لحوائج الناس . . يفرع الناس إليهم في حوائجهم . . أولئك الآمنون من عذاب الله »^(١) .

ويقول (ﷺ) :

* « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . . من كان في حاجة أخيه . . كان الله في حاجته . . ومن فرج عن مسلم كربة . . فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . . ومن ستر مسلماً . . ستره الله يوم القيامة »^(٢) .

ويقول (ﷺ) :

* « إذا كان أمراؤكم خياركم . . وأغنياؤكم سمحاءكم . . وأموركم شورى بينكم . . فظهر الأرض خير لكم من بطنها . .

وإذا كان أمراؤكم شراركم . . وأغنياؤكم بخلاءكم . . وأموركم إلى نساءكم . . فبطن الأرض خير لكم من ظهرها »^(٣) .

وجاء في الأثر الكريم :

* « من مشى مع أخيه في حاجة . . حتى يقضيها له . . ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام »^(٤) .

* « ما أدخل رجل على مؤمن سروراً إلا خلق الله عز وجل من هذا السرور ملكاً يعبد الله عز وجل ويوحده . . فإذا صار العبد في قبره . . أتاه ذلك السرور . . فيقول : أما تعرفني ؟

فيقول له : من أنت ؟

فيقول : أنا السرور الذي أدخلتني على فلان . . أنا اليوم أونس وحشتك . . وألقنك حجتك . . وأثبتك بالقول الثابت . . وأشهدك مشاهدك يوم القيامة . . وأشفع لك إلى ربك . . وأريك منزلك في الجنة »^(٥) .

(١) رواه الطبراني .

(٣) رواه الترمذي .

(٢) متفق عليه .

(٤) رواه الأصبهاني .

(٥) رواه أبو الشيخ ابن حبان .

ويقول (عليه السلام) :

* « الجنة دار الأسخياء »^(١) .

ويقول (عليه السلام) :

* « إن في الجنة بيتاً يقال له : بيت السخاء »^(٢) .

ويقول (عليه السلام) :

* « تحافوا عن ذنب السخى . . فإن الله أخذ بيديه كلما عثر »^(٣) .

ويقول (عليه السلام) :

* « إن الله بعث حبيبى جبريل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام فقال :
يا إبراهيم . . إنى لم أتخذك خليلاً على أنك أعبد عبادى لى . . ولكن أطلعت على
قلوب المؤمنين . . فلم أجد قلباً أسخى من قلبك » .

ويقول (عليه السلام) :

* « كان إبراهيم عليه السلام يُضيّف الناس فخرج يوماً يلتمس أحداً يضيفه فلم
يجد . . فرجع إلى داره فوجد رجلاً قائماً فيها .. فقال :
يا عبد الله من أدخلك دارى بغير إذنى ؟

فقال :

دخلتها بإذن ربها .

قال : ومن أنت ؟

قال :

أنا ملك الموت .

أرسلنى ربى إلى عبد من عباده . . أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً

قال :

من هو ؟

فوالله إن أخبرتنى به . . لأتينه . . ولو كان بأقصى البلاد ثم لا أبرح له جاراً .

حتى يفرق بيننا الموت .

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه الأصبهاني .

قال :

ذلك العبد أنت .

قال :

أنا .

قال :

نعم . .

قال :

فيم اتخذني ربي خليلاً ؟

قال :

إنك تعطى الناس ولا تسألهم^(١) .

* * *

وقد جاء فى الأثر :

* أولى الناس بالنوال . . أزهدهم فى السؤال .

* أزهد فيما عند الناس . . يحبك الناس .

* اطمع فيما عند الله . . يحبك الله .

• • •

صنائع المعروف

يقول تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٣) .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٤) .

(٣) ١٢٨ النحل .

(٤) ٦٣ الفرقان .

(١) رواه ابن أبى حاتم عن عبيد الله بن عمير .

(٢) ١٩٩ الأعراف .

ويقول الهادى البشير (رحمه الله) :

« اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله .. فإن صادف أهله .. فهو أهله .. وإن لم يصادف أهله .. فأنت أهله » (١) .

« أذا الأمانة إلى من ائتمنك .. ولا تخن من خانك » (٢) .

« من نصر مسلماً نصره الله فى الدنيا والآخرة .. ومن خذل مسلماً .. خذله الله فى الدنيا والآخرة » (٣) .

وجاء فى الأثر :

* « أفضل المعروف .. إغاثة الملهوف » .

* « كل إناء ينزع ما فيه » .

* « صنائع المعروف .. تقى مصارع السوء » .

* « اتق شر من أحسنت إليه » .

وكثيراً ما نسمع على السنة العامة .. « اعمل خيراً وارمه البحر » وذلك كناية عن الخير الذى سوف تصنعه .. إن ضاع عند الناس لن يضيع عند الله .. وذلك شريطة أن يكون لله تعالى .. فمن فعل للناس .. فليأخذ أجره منهم .. ولا أجر له عند الله .. ومن فعل ما يفعله الله تعالى .. فسوف ينال أجره مرتين .. مرة فى الدنيا ومرة فى الآخرة .. ومن هنا جاءت الحكمة الكريمة :

« اتق شر من أحسنت إليه » وهى قول مأثور لعمر بن العاص (رضي الله عنه) ..

أى : اتق شر من أحسنت إليه هو .. دون أن تقصد وجه الله فيه .. أى : من عملت له العمل لا تقصد به وجه الله تعالى .. وإنما فعلت ما فعلته لكى ترضيه أو يثنى عليك .. أو يذيع عنك إنك من أهل الخير .. إلخ .

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) رواه أبو داود .

فهذا الذى فعلته . . قصدت به وجه الناس . . فسوف ينقلب عليك شره . . أما إذا كان لوجه الله تعالى . . فسوف يعود عليك خيره . . إن شاء الله تعالى . .

« فاتق شر من أحسنت إليه » و « انتظر خير من أحسنت إلى الله فيه » . .

هذا . . ولا تبخل بخير على أحد من الناس . . سواء كان من أهل المعروف أو غير ذلك . . كما أمرك رسول الله (ﷺ) :

« اصنع المعروف فى أهله . . وفى غير أهله . . فإن صادف أهله . . فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله » .

فإن المروءة والشهامة والمعروف والخير . . كل هذه المبادئ الإسلامية الكريمة التى حث عليها الإسلام . . ودعا إليها أتباعه . . إنما دعا إليها . . لأن النفوس تحيا بها . . وترقى عليها . . إلى معارج الهدى . . ومدارج الندى . . فتصنع قلوباً لا قوالب . . قلوباً لا مقالب . . قلوباً تسع الدنيا وما عليها . . قلوباً تهدى ولا تضل . . قلوباً تحيى ولا تميت . . قلوباً تجمع ولا تفرق . . قلوباً تنير ولا تغلظ . . قلوباً تكرم ولا تهين . . قلوباً تعمل ولا تكل . . تعز ولا تذل . . تحب ولا تكره .

هذا . .

ولقد كان لأحد أشرف العرب فرس مشهور بالقوة والجمال . . والخفة والدلال . . وكان مضرب الأمثال فى السرعة والإجابة . . والحسن والنجابة . .

وذات يوم . . امتطى الفارس العربى المغوار . . جواده فى الصحراء . . فى رحلة صيد . . ذات مساء . . وبينما هو يصطاد إذ سمع بكاءً وأنيباً . . فاتجه نحو الصوت . . ونظر فرأى شيخاً كسيحاً طريحاً على الأرض . . فاقترب منه . . وقال : السلام عليكم ورحمة الله . . قال : عليكم السلام .

قال له : ما الذى جاء بك إلى هنا ؟!

قال : كنت مع قافلتي فنزلت لقضاء حاجتي . . فرحلوا وتركوني . .

فقال له : من أى قبيلة أنت ؟

قال : من قبيلة كذا . .

فقال له : وجب على أن أحملك معي . .

قال له : كيف ذلك وأنا لا أقوى على الحركة ؟

قال له : أنزل وتركب معي . .

قال له : أنى لمثلنى أن يرتقى صهوة جوادك ؟

قال له : أنزل وأحملك . . فنزل الفارس وحمله ووضعته على صهوة الجواد . .

وما إن استوى الرجل الكسيح على الفرس . . حتى تحول إلى فارس مغوار . .
لا يشق له غبار . . فأطلق العنان للفرس . . وولى الأدبار وطار . . وترك الفارس يلهث
خلفه . . يصرخ وينادى . .

فقال له الرجل المخادع : لا تجهد نفسك . . لن تدركنى . .

فقال له : أنا لا أريد الفرس . . فعندى مزرعة من الخيول . .

قال له : إذن ماذا تريد ؟

قال له : أريد شيئاً واحداً . .

قال له : وما هو ؟

قال : لا تذكر هذا أمام الناس .

قال : لماذا ؟

قال : حتى لا يمتنعوا عن فعل المعروف . .

وهنا نزل الرجل من على الفرس وهو يركى . . وقال له :

أعاهدك على فعل المعروف . . وتبت على يدك الله رب العالمين . . فلقد أعطيتنى
درساً لن أنساه ما دمت حياً . .

انظر إلى هذا المعروف . . وتأمل هذا الموقف :

لقد أراد الفارس أن يقول له : لا تشمت أعداء الله فى دين الله . . لا تشمت أهل
المنكر فى أهل المعروف . . لا تشمت أهل الشر فى أهل الخير . . لا تشمت أهل الكفر فى
أهل الإيمان . .

انظر إلى المعروف والمروءة والشهامة . . كيف صنعت رجلاً . . وهدت رجلاً . .
ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً . . خير لك من الدنيا وما فيها . .
فاصنع المعروف في أهله وفي غير أهله . . فإن صادف أهله فهو أهله . . وإن لم
يصادف أهله . . فأنت أهله . .



قطوف من أزهار السنة

من بساين السنة يقول المصطفى (ﷺ) :

* « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم
القيامة . . ومن يسر على معسر في الدنيا . . يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . . ومن ستر
على مسلم في الدنيا . . ستر الله عليه في الدنيا والآخرة . . والله في عون العبد . . ما دام
العبد في عون أخيه »^(١) .

ويقول (ﷺ) :

* « على كل مسلم صدقة . . .

قيل : أرايت إن لم يجد ؟

قال : يعتل يديه . . فينفع نفسه ويتصدق .

قال : أرايت إن لم يستطع ؟

قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .

قال : أرايت إن لم يستطع ؟

قال : يأمر بالمعروف أو الخير .

قال : أرايت إن لم يفعل ؟

قال : يمسك عن الشر . . فإنها صدقة »^(٢) .

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

(٢) متفق عليه عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) .

ويقول (ﷺ) :

* « ما من عبد أنعم الله عليه نعمة . . فأسبغها عليه . . ثم جعل من حوائج الناس إليه . . فتبرم . . فقد عرض تلك النعمة للزوال »^(١) .

جاء فى الأثر :

- * « من مشى مع أخيه فى حاجته ثبت الله قدميه على الصراط » .
- * « إن لله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس » .
- * « إن حاجة الناس إليكم من نعم الله عليكم . . فلا تملوا النعم فتتقلب عليكم نقماً » .
- * « إذا عظمت نعم الله على عبد . . اشتدت إليه حوائج الناس » .
- * « لا يزال الله فى حاجة العبد . . ما دام العبد فى حاجة أخيه » .

ويقولون :

- * الكريم لا يضام .
- ويقول الهادى البشير (ﷺ) :
- * « ارحموا عزيز قوم ذل .
- وغنياً افتقر .
- وعالماً ضاع بين الجاهل » .

• • •

وأحسن كما أحسن الله إليك

يقول تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(٢) .

﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٣) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد .
 (٢) ٣٤ فصلت .
 (٣) ٧٧ القصص .

- * « اصنع المعروف فى أهله .. وفى غير أهله .. فإن صادف أهله .. فهو أهله .. وإن لم يصادف أهله .. فأنت أهله .. » (١) .
- * « أذا الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » (٢) .
- * « الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » (٣) .
- * « من نصر مسلماً نصره الله فى الدنيا والآخرة .. ومن خذل مسلماً خذله الله فى الدنيا والآخرة » (٤) .



اصنع المعروف

إن المروءة والشهامة والمعروف .. هذه القيم جميعاً .. تصنع الرجال .. وتهدى الأجيال .. إلى مدارج الكمال .. سواء كان هؤلاء يستحقون هذا المعروف .. وهذه الشهامة وتلك المروءة .. أم لا ؟ فإن هناك من يحجمون عن صنع المعروف .. فيمن لا يستحقون .. فهل يجوز ترك المعروف إذا لم يوجد من يستحقه ؟ كلا ..

إن النبى المصطفى (ﷺ) يرسلها مدوية فى سمع الزمان .. ناصحاً إياك وموجهاً لك .. من خلال أمته :

« اصنع المعروف فى أهله .. وفى غير أهله .. فإن صادف أهله فهو أهله .. وإن لم يصادف أهله .. فأنت أهله » .

فإن المعروف يزرع فى كل أرض .. وإن الخير يبذل فى كل مكان .. لا تنظر مع من ؟ ولا لمن سيكون ؟ كلا وإنما لكل نفس تنبض بالحياة .. حتى تستمر الحياة وتزدهر .. وتعم المحبة وتنتشر .. ويتحقق فينا قول ربنا عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ..



-
- (١) رواه مسلم وغيره .
 - (٢) رواه أحمد وغيره .
 - (٣) رواه الترمذى .
 - (٤) رواه أبو داود .

شهامته ومروعة جندي(*)

هذا ..

و ذات يوم حدثت مشادة على الكورنيش بين امرأة شابة وجندي من جنود الأمن .. وكانت المرأة تدلل طفلتها على سور كوبري قصر النيل .. فجاء الجندي ومنعها خوفاً على الطفلة أن تسقط من يدها .. ولكنها أصرت على ذلك .. ولم تكف بهذا .. بل انهالت عليه بكل ألوان الشتائم والسباب .. فتركها الجندي وانصرف بأدب وحياء ..

وفي أثناء عودته سمع صراخاً واستغاثات .. فنظر فوجد المرأة إياها .. وقد انهارت تبكى .. وتلطم وجهها .. فقد سقطت طفلتها في النيل .. وحدث ما توقعه الجندي .. ولكن الجندي نسي كل ما حدث منها .. وألقى بنفسه في النيل .. وغاص تحت الماء .. أمام جموع المارين والواقفين في انتظار المقدور .. ولم تمر إلا دقائق معدودة .. حتى ظهر الجندي على سطح الماء .. يحمل على كتفه الطفلة الصغيرة .. يسبح بها وسط أمواج النيل المتلاطم .. حتى وصل إلى الشاطئ .. بين صياح الجمهور .. وصفيق الحاضرين .. وتقبيلهم له .. وإعجابهم به .. ودعائهم له .. وبكاء الأم التي احتضنت طفلتها احتضاناً الأمل بال ميلاد الجديد .. فقد كتب الله لها عمراً جديداً .. وسط بكاء المواطنين .. وقامت إلى الجندي تقبله وتعذر له .. وتقدم له كل مصوغاتها مكافأة له .. فيا بى الجندي بشمم وكبرياء .. ويرفض المكافآت السخية التي قدمها إليه كثير من الأثرياء الحاضرين لشهامته ومروءته .. وينصرف الجندي إلى عمله راشداً .. وهم يحملونه على أكتافهم .. كما يحملون العظماء والقادة المنتصرين الظافرين .

إن الشهامة كرامة .. وعزة وسلامة .. في الدنيا والآخرة .. كرامة في الدنيا .. وعزة وسلامة يوم القيامة ..

أما كرامة الدنيا :

فإن الله تعالى لا يخزيه أبداً .. بل يفدق عليه من كرمه .. ويمده بأسبابه .. فلا ينال منه أحد .. ولا يجير عليه شيء .. فالكرم لا يضام .. لأن كرمه يحيطه بسياج من فولاذ .. لا يستطيع شيء اختراقه .. وكيف يستطيع شيء اختراقه .. وقد تحصن بالكرم .. الذي يصد غوائل الزمان .. وتقلب الحداث .. وما يضيق به الإنس والجان ..

(*) هذا الجندي من صعيد مصر الأبطال .

فيعيش عزيزاً لا يرام .. ويموت عزيزاً لا يهان .. ييكى عليه البعيد والقريب .. والصغير والكبير .. واليتامى والأيامى .. والرجال والنساء .. والبنات والشباب .. والفقراء والمساكين .. والشجر والحجر .. والحيوان والطير .. والشمس والقمر .. والأرض والسماء .. والملائكة الكرام .. فى دار السلام .. ويصلون عليه كل أن ..

وأما سلامة الآخرة :

فإن الله تعالى يأمر جنته بأن تتزين لاستقباله .. ويأمر ملائكته بأن تتجهز لاحتماله .. إلى السموات العلا .. تستقبله سماء بعد سماء .. كلما طويت سماء .. تستقبله أخرى بملائكتها وآلائها .. وتزفه إلى دار الخلد .. بالمسك والريحان .. والكافور والزعفران .. والخور والولدان .. إلى ما شاء من الجنان .. دار السلام .. وجنة رضوان .. وجنات النعيم والمأوى .. وعدن ودار المقامة .. والفردوس الأعلى مكان .. إلى ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. هذا جزاء المعروف فى الدنيا والآخرة .. وأجر الشهامة والمروءة فى الدارين . كرامة وعزة وسلامة .

من قطوف الحكمة النبوية :

- * « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة »^(١) .
- * « المؤمن غر كريم .. والفاجر خب لثيم »^(٢)
- * « السعاء خلق الله الأعظم »^(٣) .

وجاء فى الأثر :

* « أفضل الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم » .

١ - تكشف عنه كربة ..

٢ - أو تطرد عنه جزعاً .. أى : حزناً أو ألماً ..

٣ - أو تقضي عنه ديناً »^(٤) .

(٢) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو الشيخ ابن حبان .

(١) رواه الطبرانى .

(٣) رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب .

❖ « أفضل الأعمال : إدخال السرور على المؤمن :

١ - كسوت عورته .

٢ - أو أشبعته جوعته .

٣ - أو قضيت حاجته » (١) .

❖ « أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم » (٢) .

❖ « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس » (٣) .

• • •

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الأصبهاني .

العمل عبادة

مضردات إسلامية قام عليها الإسلام :

- * الدين المعاملة ..
- * إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ..
- * العمل عبادة ..
- * تاجر الرحمن ..
- * التجارة الربحة مع الله تعالى ..
- * ثمرة العمل والعاملين في ظل دعوته السمحاء ..
- * التاجر الصدوق ..

الدين المعاملات « وقل اعملوا »

يقول تعالى :

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١) .

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

* « لا تسأل الناس شيئاً أعطوك أو منعوك »^(٢) .

* « من بات كالأ من عمله بات مغفوراً له »^(٣) .

* « أعطوا الأجير أجره . . قبل أن يجف عرقه »^(٤) .

* « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . . وإن نبي الله داود (عليه السلام) كان يأكل من عمل يده »^(٥) .

ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

* « يقابلني الرجل فيعجبني سمته . . وتعجبني هيئته . . فأسأل عن عمله . . فإن قيل لي بلا عمل . . سقط من نظري . . »

ويقولون :

* « من جد وجد . . ومن زرع حصد » .

* « من لم يجد له عملاً أوجد له الشيطان عملاً » .

* « من لم يشغل نفسه بالحق . . شغلته نفسه بالباطل » .

• • •

(١) ١٠٥ التوبة .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الطبراني وغيره .

(٥) متفق عليه .

أيها العمال

أيها العمال أفنوا العمر كذاً واكتساباً
واعمروا الأرض فلولاً سعيكم أمست خراباً
واتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جناياً
إن للمتقن عند الله والناس ثواباً
واذكروا الأنصار بالأمس ولا تنسوا الصحاباً
أيها الغادون كالنحل ارتياداً وطلاباً
فى بكور الطير للرزق مجيئاً وذهاباً
اطلبوا الحق برفق واجعلوا الواجب داباً
واستقيموا يفتح الله لكم باباً فباباً
إنما العاقل من يجعل للدهر حساباً
واذكروا يوم مشيب فيه تبكون الشباباً^(١)



يد يحبها الله ورسوله

وذات يوم خرج المصطفى (ﷺ) إلى طائفة من العمال . . فصافحهم واحداً واحداً . .
إلا واحداً أبى أن يضع يده فى يد المصطفى (ﷺ) فلما سأله النبی (ﷺ) عن سر ذلك ؟
قال : يا رسول الله إن يدي بعض الشقوق . . وبعض الحروق . . من أثر العمل . . وإنى
لأستحي أن أضع يدي فى يدك . . فتوذك يا رسول الله . . فجذبها المصطفى (ﷺ)
وقبلها تكريماً للعمل والعاملين . . وقال له : هذه يد يحبها الله ورسوله . . ثم قال (ﷺ) :
من بات كالأمن عمله . . بات مغفوراً له . . فخذ من شبابك لهرمك . . وخذ من
صحتك لمرضك . . وخذ من غناك لفقرك . . وخذ من فراغك لشغلك . . وخذ من
حياتك لموتك .

وذلك قوله (ﷺ) : « اغتتم خمساً قبل خمس :

- ١ - شبابك قبل هرمك .
- ٢ - صحتك قبل مرضك .
- ٣ - غناك قبل فقرك .
- ٤ - فراغك قبل شغلك .
- ٥ - حياتك قبل موتك . . .^(٢)

(١) من ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي الجزء الأول ٩٠ / ٩١ . (٢) رواه الترمذى وغيره .

السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة

أما بعد . .

فبادئ ذي بدء :

« إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة »^(١) .

ولن يتأتى الذهب والفضة . . إلا بالهمة والنشاط . . والعمل والحركة . . والحركة بركة . . وإن الناس يميلون إلى الأغنياء دون الفقراء . . وهذا طبعهم منذ خلق الله السموات والأرض . . فالناس قد جبلوا على حب من أحسن إليهم . . وبغض من أساء إليهم . . .

يقول الهادى البشير (ﷺ) :

« جُبِلَت النفس على حب من أحسن إليها . . وبغض من أساء إليها . . »^(٢) .

ولن تكون النفس محسنة . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . .

ويقول (ﷺ) :

« اليد العليا . . خير من اليد السفلى . . »^(٣) .

ولن تكون اليد عليا . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . .

ويقول (ﷺ) :

« المؤمن القوى . . خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . »^(٤) .

ولن يكون المؤمن قوياً . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . . لهذا . . فإن الناس يميلون إلى الأغنياء دون الفقراء . . ولن تكون غنياً . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة .

(١) من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(٢) رواه الترمذى وغيره .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

فاحرص أن تكون غنياً قوياً معطاءً .. حتى لا يميل الناس عنك :

فإن الناس قد مالوا	إلى من عنده مالٌ
ومن لا عنده مالٌ	ف عنه الناس قد مالوا
وإن الناس منفضة	إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة	ف عنه الناس متفضة
وإن الناس قد ذهبوا	إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب	ف عنه الناس قد ذهبوا

هذا :

وقد سئل أحد الصالحين .. لماذا تجمع المال وأنت من الزاهدين ؟

قال :

* لأصون به العرض .

* وأحمى به الأرض .

* وأودى به القرض .

* وأستغنى به عن القرض .

فالناس صنفان .. نوع يحبك إن كنت غنياً .. ونوع يكرهك إن كنت فقيراً ..

نوع يوفرك إن زاد مالك .. ونوع يحقرك إن قل مالك .. فهناك صديق

مال .. وهناك عدو مال .. ولهذا قال الشاعر : سأحرص دائماً أن أكون غنياً سخياً حتى

يحبني هذا .. ولا يكرهني ذاك ..

إن قل مالي فلا أحد يصاحبني وإن زاد مالي فكل الناس خلاني

فكم من عدو لأجل المال صاحبني وكم من حبيب لأجل المال عاداني

هذا .. وإن لكل شيء سياجاً يحفظه ويحميه .. وإن سياج المال .. العلم والعمل

والأخلاق ..

بالعلم والمال بيني الناس ملكهمو لم بين ملك على جهل وإقلال

فلن تسعوا الناس بأموالكم .. فسعواهم بأخلاقكم ..



العمل عبادة

العمل عبادة .. وهو الحسنى وزيادة ..

* يؤكد هذا المعنى ما ورد أن بعض الصحابة سألوا رسول الله (ﷺ) عن رجل يكثر بالمسجد ولا يبرحه صباحاً ولا مساءً .. يصوم ويقوم .. ويتعبد ويتعبد .. وظن الصحابة (رضى الله عنهم) أن النبي (ﷺ) سيقول لهم : إنه من أهل الجنة .. أو إنه فى الدرجات العلا .. أو إنه فى الفردوس الأعلى .. ولكن النبي (ﷺ) سألهم : من يطعمه ؟ .. قالوا : كلنا يا رسول الله .. قال (ﷺ) : « كلكم خير منه » .

* وذات يوم سأل سائل عن رجل آخر يكثر بالمسجد ولا يبرحه أبداً .. يصلى ويصوم .. ويسبح ويقوم .. فقال له النبي (ﷺ) من يطعمه ؟ قال الرجل : أخوه يا رسول الله . قال (ﷺ) : أخوه أعبد منه ..

* وقد سئل ابن عباس (رضى الله عنهما) عن تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) .

قال : أى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعملون .. فالعمل عبادة ..

وصدق الله العظيم :

﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

* وذات يوم جاء سائل إلى النبي (ﷺ) يسأله شيئاً من متاع الدنيا .. فنظر إليه النبي (ﷺ) فوجده شاباً جليداً قوياً فتياً .. قادراً على العمل .. فأسف عليه النبي (ﷺ) وقد أراد أن يأخذ بيده من عالم البطالة والمذلة .. إلى العمل والعزة .. فقال له : هل عندك شئ ؟ أى : زائد عن حاجتك .. فقال عندي (حلت) غطاء وإناء .. قال : فأتنى بهما .. فأحضرهما للنبي (ﷺ) وباعهما له واشترى بهما قدوماً .. وأعطاه إياه .. وقال له : اذهب واحتطب .. ولا أرينك خمسة عشر يوماً فإن ذلك خير لك من أن تأتى المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ..

(١) ٥٦ الذاريات .

(٢) ١٠٥ التوبة .

لأن المسألة والبطالة نكتة سوداء فى جبين السائل يوم القيامة يعرف بها أمام الناس . .
يوم الحشر الأعظم . . فيعرف أن هذا كان يديه . . ويعيش حالة على الآخرين . .
فاحرص أن تكون عزيزاً كريماً . . تأكل من عرق جبينك . . وكد يمينك . .
وتأمل معى ما فعله النبى (ﷺ) . . الذى أمره الله تعالى أن يعمل وأن يأمر عباده
بالعمل . .

فلو كان دين محمد دين كسل وتخاذل لقال للسائل : اجلس معنا هنا وصل وصم
والله يرزقنا جميعاً . . أو قال له : دعها الله . . فالله يرزق من يشاء بغير حساب . .
أو . . أو . .

ولكن دين محمد (ﷺ) دين إيمان وعمل . . يقدر العاملين . . ويقدر العمل . .
اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً . . فذهب الرجل وأصبح نجاراً . . وجاء
للنبى (ﷺ) بمال قد اكتسبه . . فأمره النبى (ﷺ) أن يشتري وأن يبيع وأن يتصدق . .
حتى صار الرجل نافعا لنفسه وأمه . . فخير الناس أنفعهم للناس . . واستطاع النبى (ﷺ)
أن يحوله من أهل الذل والهوان . . إلى أهل العمل والإيمان . . بالعمل والنشاط . .
والهمة والحركة . .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

وصدق رسولنا الكريم (ﷺ) :

* « من بات كالا من عمله . . بات مغفورا له » (٢) .

* « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . . وإن نبى الله داود (عليه

السلام) كان يأكل من عمل يده » (٣) .

* « لا تسأل الناس شيئاً أعطوك أو منعوك » (٤) .

* « من غشنا ليس منا » (٥) .

ويقولون :

* « من جد وجد . . ومن زرع حصد » .

(٣) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(١) ١٠٥ التوبة .

(٥) رواه أحمد .

(٤) رواه الطبرانى .

تاجر الرحمن

يقول تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (١).

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

* « تسعة أعشار الرزق في التجارة » (٢).

* « التاجر الصدوق مع النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » (٣).

* « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » (٤).

ويقول على (كرم الله وجهه) :

* « الغنى في الغربة وطن . . والفقر في الوطن غربة . . » .

ولقد كان عبد الرحمن بن عوف أغنى أغنياء المسلمين . . لكنه عندما هاجر من مكة إلى المدينة . . لم يكن يملك درهماً ولا ديناراً . . فقد هاجر خاوي الوفاض . . فقد ترك أهله وترك ماله . . من أجل الله ورسوله . . وأخى المصطفى (ﷺ) بينه وبين سيدنا سعد بن الربيع . . فقال له سيدنا سعد :

يا عبد الرحمن . . هذا مالي أشاطرك إياه . . وهذه دارى أشاطرك إياها . . وهذه أرضى أشاطرك إياها . . وهؤلاء نسائي . . انظر إلى من يعجبك حسنهما فأطلقها لك وتزوجها . .

فماذا فعل عبد الرحمن بن عوف ؟

هل استغل سخاء وكرم الأنصاري ؟

هل استغل جود وشهامة سعد ؟

هل قابل سخاء الأنصاري بالجشع ؟

(١) ٣٠ الكهف .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) رواه أحمد .

هل قابل جود الأنصارى بالطمع ؟

كلا . . وإنما قابل هذا السخاء كله بالكفاف . . وطلب الغنى بالعفاف . . ولم يقبل أن يكون عالة على أحد . .

وقال له بعفة وحياء : بارك الله لك في أهلك ومالك . . ولكن دلني على السوق . .
فلقد دعا لى رسول الله (ﷺ) وقال : اللهم بارك لعبد الرحمن بن عوف في صفقة يمينه . .
فوالله لو اتجرت في التراب لقلبه الله في يدي ذهباً . . فلقد كان عبد الرحمن بن عوف رجلاً مباركاً . . حتى كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يقولون :
لقد ظننا أن عبد الرحمن بن عوف لو رفع حجراً لوجد تحته ذهباً . . لبركة دعاء
النبي (ﷺ) له . .



ثمرة العمل في الإسلام

وخرج عبد الرحمن بن عوف إلى السوق وباع واشترى . . ولم يقبل أن يكون عالة على أحد . . وكان معه أربعة دراهم هي كل ما أفاء الله عليه . . فاشترى بها (جبتاً) ولم يكده يشتريها حتى قابله رجل فاشتراها منه بأربعين درهماً . . فتزوج في هذا اليوم . . واشترى داراً في أول صفقة له . . وظل عبد الرحمن بن عوف يبيع ويشترى . . حتى أصبح أغنى أغنياء المسلمين . . وكان عنده من المال والذهب . . ما يقطع بالفقوس . . حتى إن إحدى نسائه الأربع . . صولحت في ميراثها . . وهو ربع الثمن بمليون دينار . . فأبت . .

وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة . . وعندما اتسعت أملاكه . . وازدادت أرزاقه . . خاف الصحابة (رضوان الله عليهم) عليه من المال . . فذهب إليه وفد من الصحابة وقالوا له : يا عبد الرحمن : إنا نخشى عليك من المال . . لقد زاد مالك وفاض . . وأنت الصحابي الجليل . . والإمام الدليل . . فقال لهم :

تخافون على المال . . فماذا أفعل في مالي . . وما أنفقت ديناراً في الصباح . . إلا وجاءني مائة بالليل . .

لقد كان عبد الرحمن بن عوف يملك هذا المال . . ومع هذا المال كله . . كان أزهد الزاهدين . . لأن ماله كان في يده . . ولم يكن في قلبه . . لأنه من كان ماله في يده فهو ينفقه . . ومن كان ماله في قلبه فهو يعبد . . فليس الزاهد من لا مال عنده . . وإنما الزاهد من لا يملك المال قلبه . . فقد وضع نصب عينيه قول المصطفى (ﷺ) له :
 « يا عبد الرحمن إنك من الأغنياء . . وإنك ستدخل الجنة حبواً . . فأقرض الله يطلق قدميك » . .

هذه دعوة للشباب للعمل والحركة والهمة والنشاط . . وأن يأخذ من شبابه لهرمه . . ومن صحته لمرضه . . ومن غناه لفقره . . ومن فراغه لشغله . . ومن حياته لموته . . وليعلم أن العمل عبادة . . وأن الحركة بركة .
 وأحذر كل شاب من الكسل والخمول . . ومن الفراغ والفضول . . لأن الفراغ أساس كل رذيلة . . والحركة والعمل أساس كل فضيلة . .
 ولقد كانوا قديماً يعيرون الرجل بالخمول والكسل . . كما يعيرونه بالذنب . . وكانوا يعيرونه ببطئه . . كما يعيرونه بالفشل . .
 وذات يوم قال الخطيئة بيتاً من الشعر يُعيرُ به رجلاً . . فشكاه إلى عمر بن الخطاب . . فنفاه أمير المؤمنين (ﷺ) من أجل هذا البيت . . لأنه عده استخفافاً وتهكماً بالرجل . .
 قال الخطيئة في هذا البيت :

دع المسكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
 فلم يجد الخطيئة ما يعير به الرجل إلا الكسل . . وقعوده عن العمل . . فليحذر الشباب :

الكسل . . والقعود عن العمل . . حتى يتجنب الضياع والفشل . . وما عليه إلا الاجتهاد في العمل . . ليتحقق له إن شاء الله الأمل !!
 وهكذا . . يضرب عبد الرحمن بن عوف . . القدوة والمثل . . لمن أراد أن يصل . .
 القدوة والمثل . . لمن أراد أن يشق طريقه لكي يصل . .
 فلقد سماه رسول الله (ﷺ) : بالأمين . . حيث قال :
 « عبد الرحمن بن عوف أمين في الأرض وأمين في السماء » .
 وكيف لا . . وهو تاجر الرحمن . .

وأى فخر أن يضاف اسمه إلى لفظ الجلالة . . أو أن يضاف لفظ الجلالة إليه . .
 وأى مجد وصولجان . . وأى عز وسلطان . . أن يقرن اسم إنسان . . مهما كان ،
 باسم الرحمن . .
 جاء فى الأثر :
 * « عبد الرحمن بن عوف تاجر الرحمن » .
 * « عبد الرحمن بن عوف أمين فى الأرض وأمين فى السماء » .
 * « يا عبد الرحمن . . إنك من الأغنياء . . وإنك ستدخل الجنة حياً . . فأقرض الله
 يطلق قدميك » .
 * « عبد الرحمن بن عوف فى الجنة » .
 * « الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » .
 ويقولون :
 * « الغنى مع الفقير فى كبد : إذا منعه حسد . . وإذا أعطاه حقد . . » .
 قلت :
 * « فليصبر وليجتهد » .

• • •

التاجر الصدوق

يقول تعالى :
 ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١)
 ويقول جل وعلا :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

(٢) ١٠-١٣ الصف .

(١) ١١ الجمعة .

ويقول عز وجل :

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

ويقول الهادي البشير (رحمه الله) :

* «التاجر الصدوق مع النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» (٢).

* «تسعة أعشار الرزق في التجارة» (٣)

* «من غشنا ليس منا» (٤).

هذا .

ولقد كان أبو حنيفة النعمان (رحمه الله) يعمل بالتجارة ولا سيما تجارة الثياب . . وذات يوم جاءته مجموعة من الثياب . . فقلّبها فوجد بها ثوباً به ثقب . . وبعض العيوب . . فأبعده بعيداً حتى لا يباع وسط الثياب . . إلا أن يصلحه أو أن يظهره للمشتري . . حتى لا يغش الناس . .

وأذن المؤذن لصلاة العصر . . فترك أبو حنيفة متجره والغلام . . وذهب إلى الصلاة . . فلما قضيت الصلاة . . وعاد أبو حنيفة . . قابله الغلام مغتبطاً مسروراً . . وقال : يا إمام . .

لقد بعث الثوب الذي أبعده عن الثياب . .

فحزن أبو حنيفة . . وقال له :

لم يا غلام ؟ كيف يا غلام ؟ هيا أدرك المشتري واستأذنه أن يأتي لمقابلتى لأمر هام . . فانطلق الغلام مسرعاً حتى أدرك المشتري . . وعاد به إلى أبي حنيفة (رحمه الله) . . فاستقبله أبو حنيفة أحسن استقبال . . وصافحه بأدب جم . . وقال له :

(١) ٣٧ - ٣٨ النور .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) رواه أحمد .

إن في الثوب الذى اشتريته عيباً لا يعرفه الغلام . . وأظنه لم ينبهك إليه . . وهذا هو عيب الثوب . . وأشار إليه . . وإنى لأعتذر إليك نيابة عنى وعن الغلام من هذا الخطأ الذى جاء عن غير قصد . . وأترك لك حرية الاختيار . . فإن شئت رددنا لك نصف ثمنه . . وإن شئت تركته . . وأعطيناك غيره أفضل منه . .

قال الرجل وهو يتصبب عرقاً من خلق أبى حنيفة وسماحته وصدقه وأمانته :
لا يا أبا حنيفة . . إنى أقبل منك الثوب على ما فيه من عيوب . . وأرجو أن تسمح لى بدفع الثمن مرة أخرى . .

فقال أبو حنيفة : كيف هذا وقد دفعت الثمن للغلام ؟

قال : لقد أعطيت الغلام نقوداً مزيفة . . فسامحنى يا أبا حنيفة . . فلقد تبنت على يدك لله رب العالمين . . فادع الله لى أن يقبل توبتى . .

فانظر . . وتأمل إلى خلق أبى حنيفة وسماحته . . وصدقه وأمانته . . وتأمل الدروس واستخلص العبر . . واجمع الخير الذى جمع . .

* لقد من الله عليه بأن رد عليه ماله الذى سلب منه . . حين هرب من الدنيا للدين . . وترك متجراً إلى الصلاة . . وهكذا الدنيا . . من هرب منها . . جاءته تجرى . . ومن جرى وراءها تركته يلهث . .

* لقد أنعم الله عليه بأن هدى على يديه رجلاً عاصياً . . ولئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها . .

* لقد أعطى الغلام درساً فى الصدق والأمانة . . وأعطى المشتري درساً فى حسن الخلق . . فكان قدوة ومثلاً . .

* ولقد أعطى المسلمين جميعاً درساً فى حسن المعاملة . . فالدين المعاملة . . فكان تاجراً صدوقاً . . كما قال المصطفى (ﷺ) .

« التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » . .

* ولولا التزام أبى حنيفة بالصلاة فى وقتها . . لباع ثوباً حسناً . . وأخذ نقوداً مزيفة . . وضاع عليه ماله . . ولكنه ذهب للصلاة . . وترك الغلام . . فباع الغلام الثوب . . ثم عاد أبو حنيفة . . فأمر الغلام باستدعاء المشتري . . فأخبره بعيب الثوب . . فتأثر المشتري . . ودفع الثمن من جديد للخلق أبى حنيفة وسماحته . . وتعلم الرجل الدرس وكسب الهداية . .

ولو أن أبا حنيفة مكث في متجره .. وترك الجماعة .. لباع ثوباً حسناً .. وأخذ نقوداً مزيفة .. وضاع عليه ماله .. وخسر ثلاث مرات : خسر ثوباً حسناً .. وخسر ماله .. وخسر صلاة الجماعة .. ولكنه الإسلام الذي يكسب المسلم من ورائه الدنيا والآخرة ..

ومن جوامع الكلم .. يقول الهادي البشير (عليه السلام) :
* « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » (١) .

ويقول (عليه السلام) :

* « إن التجار هم الفجار .. »

قالوا : يا رسول الله .. أليس قد أحل الله البيع ؟

قال : بلى .. ولكنهم يحلفون فيأثمون .. ويحدثون فيكذبون » (٢) .

* وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال :

مر أعرابي بشاة .. فقلت :

تبيعها بثلاثة دراهم ؟

فقال : لا والله .. ثم باعها ..

فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) .

فقال : « باع آخرته بديناره .. » (٣) .

ويقول الهادي البشير (عليه السلام) :

« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا .. فإن صدق البيعان .. وبيننا .. بورك لهما في

بيعهما .. وإن كتما وكذبا .. فعسى أن يربحا ربحاً .. ويمحقا بركة بيعهما .. اليمين

الفاجرة منفقة للسلعة .. محقة للكسب » (٤) .

* وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعه عن أبيه عن جده (رضي الله عنهم) :

(١) رواه الأصبهاني عن أنس (رضي الله عنه) .

(٢) رواه أحمد وأحمد والحاكم عن عبد الرحمن بن شبل (رضي الله عنه) .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٤) متفق عليه .

أنه خرج مع رسول الله (ﷺ) إلى المصلى . . فرأى الناس يتبايعون . . فقال : « يا معشر التجار . . فاستجابوا للرسول الله (ﷺ) ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه . . فقال : « إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق »^(١) .

* وعن وائلة بن الأسقع (رضي الله عنه) قال :

كان رسول الله (ﷺ) يخرج إلينا . . وكنا تجاراً . . وكان يقول : « يا معشر التجار . . إياكم والكذب »^(٢) .

* وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال :

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« الحلف منفقة للسلعة محقة للكسب »^(٣) .

« الحلف منفقة للسلعة محقة للبركة »^(٤) .

* وعن قتادة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول .

« إياكم وكثرة الحلف في البيع . . فإنه ينفق ثم يحق »^(٥) .

• • •

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه مسلم .

يا غياث المستغيثين « التجارة الربحة مع الله تعالى »

يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (١).

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« تسعة أعشار الرزق في التجارة » (٣).

ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

« لو كنت متخذاً تجارة .. لاتخذت تجارة الطيب .. فإن فاتني ربحه .. لم يفتني ربحه .. وإن فاتني أجره ما فاتني عطره » .
هذا ..

ولقد اهتم الرسول (ﷺ) بالطيب حتى كان يعرف به كسمة من سماته الكريمة .. وكسمت طيب يحيطه بالجلال والكمال والبهاء .. حتى كان (ﷺ) إذا سار في طريق سبقه عطره إليه .. وخرجت النساء من بيوتهن .. يسألن عن سر هذا الريح الطيب والمسك المختوم .. الذي فاح عليهن في بيوتهن فيقلن : لعل محمداً قد سار .. فلقد كان (ﷺ) عطراً يمشى على الأرض ، وكان يقول :

حبيب إلى من دنياكم ثلاث :

« الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة .. » .

ويقولون :

إنه كان في بغداد تاجر مشهور .. بتجارة العطور .. وكان هذا التاجر رجلاً صالحاً كثير فعل الخيرات .. وأعمال البر والصلاح .. وعجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير له .. إن أصابه خير شكر فكان خيراً له .. وإن أصابه شر صبر فكان خيراً له .

(١) ٢ ، ٣ الطلاق .

(٢) رواه أحمد .

فقد أصيب هذا الرجل الصالح بكساد في تجارته في عام من الأعوام . . فخسرت
تجارته خسارة كبيرة . . جعلته مهموماً بعض الشيء . . إلا أن صلته بالله جعلته في عافية .
و ذات يوم بينما هو يسير على شاطئ البحر مهموماً حزناً . . إذ رأى صياداً يحمل
مجموعة من الطيور ، فأعجبته . . فأحب أن يشتريها . . لتكون الطيور إلى جانب العطور
في تجارته . . فلعلها تعوضه بعض ما فقد .

فدفع كل ما معه من مال ثمناً لها ، وظل ينفق عليها . . حتى باع كل ما عنده من
عطور من أجل تربية هذه الطيور . . وزيتها . . والمحافظة عليها . . ولم تعد له من تجارته
إلا تلك الطيور .

وكان هذا الرجل يضع هذه الطيور في أقفاص جميلة . . أمام المارين والناظرين من
أهل بغداد . . وذات يوم أصيبت هذه الطيور بنوبة برد شديدة . . قضت عليها جميعاً . .
إلا طائراً ضعيفاً نحيفاً . . شاء الله أن يبقى له من هذه الطيور .

وحزن الرجل حزناً شديداً . . إلا أنه لم ينس الله لحظة واحدة . . فقد كان إيمانه
قوياً . . فإن ذهب المال قرب المال باق .

وبات الرجل في محله بجانب الطائر ، وظل يتعبد ويتعهد طوال تلك الليلة . . وهو
يدعو الله قائلاً في قنوته وسجوده :

يا غياث المستغيثين أغثنى . .

يا غياث المستغيثين أغثنى . .

ظل الرجل يدعو الله حتى مطلع الفجر ، فصلى الفجر ، ومكث يسبح الله في مصلاه
حتى أشرقت الشمس ، فالحديث يقول :

« من صلى الفجر في جماعة ، ومكث يسبح الله في مصلاه حتى تشرق الشمس
كتب له أجر عمرة تامة » .

وعندما أشرقت الشمس . . فوجئ الرجل الصالح بالطائر الضعيف النحيف . . يردد
ما قاله طوال الليل في تهجده :

يا غياث المستغيثين أغثنى .

يا غياث المستغيثين أغثنى .

فازداد هم الرجل وهو يقول فى نفسه : لو عاشت الطيور لعادت على بأربعمائة درهم . . قيمة البضاعة التى ذهبت هباء . . ولكن قدر الله وما شاء فعل . . .
وظل الطائر العجيب يردد ما قاله الرجل :

يا غياث المستغيثين أغثنى . . قدر الله وما شاء فعل . . إلى أن طار صيت هذا الطائر فى الآفاق . . وأخذ أهل المدينة ومن حولها يتوافدون على محل هذا الرجل . . ليشاهدوا هذا الطائر العجيب . . وأخذ التجار . . والصوفيون . . والرجال والنساء . . والجاريات . . والبنات . . والشباب . . والأطفال . . يهرعون لرؤية هذا الطائر الغريب العجيب . . الضعيف النحيف . . الذى أصبح وقد صار . . خبر الأخبار . . وأصبح يزار . . مثل الآثار . . ويشاء الله ولا راد لما يشاء .

ففى ذات يوم من الأيام . . عند الأصيل ، والشمس تأذن بالرحيل . . تمر جارية الملكة ، فيعجبها هذا الطائر . . وتسأل الرجل . . كم تريد ثمناً لهذا الطائر؟

فيقول لها الرجل الصالح : كما تشاءين ، فتقول له : أرسله وسأرسل لك الثمن مع حامله . . فيرسله الرجل . . وترسل له الملكة ثمناً لهذا الطائر الضعيف النحيف الغريب العجيب . . ألف دينار . . ولم يكن يحلم بألف درهم . . ويعوض الله عليه أضعاف أضعاف ما ضاع ، ويعود لتجارته خيراً مما كان ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .
(وصدق الله العظيم) .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٢) .

وصدق رسول الله (ﷺ) :

* « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً » .

(١) ٢١٢ البقرة .

(٢) ٢ ، ٣ الطلاق .

ألا بالصبر تبلغ ما تريدُ
ولست أرى السعادة جمع مال
وتقوى الله خير الزاد طراً
وصدق الشاعر الحكيم :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
فاجأر إليه بالتقوى وبالعمل
وقل يا رب يا أنسى ويا أملى
كلى بكلك مشغول عن البشر
اللهم إني أعوذ بك : من علم لا ينفع .. ومن قلب لا يخشع .. ومن نفس
لا تشبع .. ومن دعاء لا يسمع .. ومن شر هؤلاء الأربع ..



الرشوة فى نظر الإسلام

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (١)

(قرآن كريم)

« الرشوة »

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(١)

ويقول الرسول الخاتم (ﷺ) : لعن الله الراشى والمرتشى والرائش . .

والراشى : هو الذى يدفع ، والمرتشى : هو الذى يقبض ، والرائش : هو الوسيط بينهما . .

والهدية للحكام . . فى الإسلام رشوة . . فكل هدية توجه للحكام رشوة . . لأنه لو لم يكن حاكماً ما أهدى إليه . . ينطبق هذا على الحكام وأولى الأمر من الناس . . وعمر بن الخطاب الذى حكم الدنيا من مشرقها إلى مغربها . . وكانت خزائنها فى قبضته ، وجواهرها ملك يمينه . . ولم يردها . . وإن أرادته . .

جوع الخليفة والدنيا بقبضته فى الزهد مرتبة سبحان موليا

جاء ذات يوم أحد عماله وكان على إقليم « أذربيجان » ودخل المدينة ليلاً . . وأهلها نيام . . فلم يرض أن يذهب إلى بيت « عمر بن الخطاب » ليلاً حتى لا يقلق مضجعه فى جوف الليل . . وأثر الرجل أن يقضى ليلته فى مسجد رسول الله (ﷺ) فإذا تنفس الصبح قابل أمير المؤمنين فى الفجر . .

ومكث الرجل بالمسجد ينتظر أمير المؤمنين . . ولما أخذ الرجل مضجعه . . سمع فى جوف الليل صوتاً يتضرع ويقول : إلهى أنا واقف بين يديك . .

أقبلت توبتى فأهنى نفسى ؟ أم رددتها على فاعزىها ؟

قال الرجل : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عمر بن الخطاب . .

قال الرجل : عمر . . قال : نعم . . أنا عمر . .

قال : يا أمير المؤمنين لقد منعنى الحياء أن أذهب إليك فى بيتك . . أتنام فى المسجد ؟

قال له عمر : يرحمك الله يا أخى . . إننى إن نمت الليل كله أضعت نفسى أمام ربى . . وإن نمت النهار . . أضعت رعيتى . .

(١) ١٨٨ البقرة .

إنه عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الله (ﷺ)

* « لو أن نبياً بعدى لكان عمر »

* « لو نزل عذاب من السماء ما نجا إلا عمر »

ويصلى عمر الفجر إماماً بالمسلمين . . ويأخذ ضيفه إلى بيته . وينادى على روجه
« أم كلثوم » يا أم كلثوم . إن عندى ضيفاً . . فماذا عندك من الطعام ؟

قالت أم كلثوم - أنت أدرى بما عندى يا أمير المؤمنين خبز وبعض حصيات
الملح . . هذا هو بيت أمير المؤمنين هذا أكله . هذه حياته وتلك معيشته فيقول
عمر (رضي الله عنه) : أحضره يا أم كلثوم ويجلس عمر مع ضيفه ويتناولان الخبز والملح معاً
ويشربان الماء

ثم بعد ذلك يسأل عمر قيم يجتتا ؟ خيراً ماذا تريد ؟

فيقول له الرجل يا أمير المؤمنين هذه علبة حلوى يهديها إليك أمير إقليم
« أذربيجان »

ماذا ؟ علبة حلوى !!

وكان هذه الكلمة نزلت على عمر كالصاعقة وكان عمر قد قامت قيامته

هدية إلى عمر إنها لإحدى الكبر

وإذا بعمر يشتاظ غضباً وكان إذا غضب سمعت له زئير الأسود الجريحة إذا ديس
عرينها وسمعت له زمجرة كزمجرة الضياغم فى بطون الغاب وإذا بعمر يسأل
العامل

أكل المسلمون أعطيتهم هكذا ؟

فقال الرجل : عفواً يا أمير المؤمنين . فإن هذه الحلوى لا تصنع إلا فى هذا
الإقليم

فقال له عمر . خذ هديتك واذهب بها إلى فقراء المسلمين فى مسجد رسول الله (ﷺ)
وأطعمهم إياها . وأبلغ أميرك هناك أنه لو عاد إلى مثل هذا العمل لأنزلت به مصيبة
تقصم فقار ظهره

هذا هو عمر الذى خضعت له الدنيا جميعاً فأبأها . . ولم يأخذ منها وإنما أعطاها
وأثراها وفتحها وهداها إلى أن فاح شذاها

هذا هو عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الحق (ﷺ)
 * « الشيطان يفر منك يا عمر . . ما سلكت طريقاً إلا وسلك الشيطان طريقاً غيره » . .
 * « أنت سراج أهل الجنة يا عمر »
 * « ليكن الإسلام على موتك يا عمر »
 • • •

بشر ملاك

وأقول فيه :

بشر ملاك أم ملاك من بشر	يجتاز بالنور الكواكب والقمر
العدل أنت سطعت من عليائه	فوق الدجى لم تبق منه ولم تذر
ونطقت بالآيات قبل نزولها	فبعثت فى الدنيا ملائكة البشر
وكفأك قول المصطفى - لو حل	بالدنيا عذاب ما نجا إلا عمر ^(١)

• • •

« الرشوة فى العمل كالتسم فى العسل »

هذا هو عمر . . : القدوة والأسوة الحسنة . . لم يقبل الهدية . . وعلل عدم قبوله لها . . بسؤاله للرجل : أكل المسلمين أعطيتهم هكذا ؟ . . فرفض أن يتميز بشيء دون سائر المسلمين . . كما أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية وهو حاكم . . لأنه لو لم يكن حاكماً . . ما أهدى إليه .

إذن فالهدية للحاكم والعامل فى الدولة أو الحكومة رشوة مقنعة . . فالرشوة فى العمل . . كالتسم فى العسل . . وإن أخذت شكلاً مختلفاً . . أو كانت تحت أى اسم من الأسماء . . فشكلها عند الله رشوة . . واسمها عند الله رشوة . . وكفى أشكالاً . . وتسميات . . ولنسم الأشياء بمسمياتها . . « **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ** »^(٢) . . والله لا ينظر إلى صوركم . . وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . .

(١) من شعر المؤلف ديوان (لآلى ودرر من عدالة عمر) .

(٢) ٢٣ النجم .

ومن هو الراشئ الملعون المستحق لوعيد الله ورسوله ؟
 إنه واحد من ثلاثة أو ثلاثة في واحد :
 * من يريد أن يأخذ برشوته هذه حق الآخرين ، وبذلك يظلم غيره ، فيما لا
 حق له فيه . .
 * من يريد برشوته أن يعان على الباطل . .
 * من يريد أن يتقدم على من هو أولى منه بالتقديم . .
 هؤلاء لعنهم الله ورسوله :
 * بأن دعا عليهم الرسول (ﷺ) بالطرد من رحمة الله تعالى .
 * وأن أخبر عن لعنة الله لهم بسوء العاقبة .
 * وخلودهم في النار .
 لحديث النبي (ﷺ) عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :
 « لعن رسول الله (ﷺ) الراشئ والمرشئ والرائش »^(١) . .
 كما روى الحاكم وابن حبان : أن رسول الله (ﷺ) قال :
 « لعنة الله على الراشئ والمرشئ »^(٢) .
 وعنه (رحمه الله) عن النبي (ﷺ) قال : « الراشئ والمرشئ في النار »^(٣) .
 وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله تعالى عنه) قال : « الرشوة في الحكم كفر . .
 وهى بين الناس سحت »^(٤) .
 لأنها تحمل صاحبها على الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٥) .

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه الحاكم وابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه الطبرانى .

(٥) ٤٤ المائدة .

وعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة » والسنة أي القحط ويس الأرض ، وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب » (١) .

• • •

الراشئ المجبر

إذا كان هذا هو حكم الراشئ . .
 فما حكم الراشئ المجبر ؟ ومن هو الراشئ المجبر ؟ ومتى يكون مجبراً ؟
 * إن الراشئ المجبر لا لوم عليه . .
 * ولا يكون الراشئ مجبراً إلا بشرطين :
 - إذا كان ما يعطيه من رشوة . . للحصول على حق لا سبيل إلى تحصيله إلا بها . .
 - إذا كان هذا لدفع ظلم واقع به لا سبيل إلى دفعه إلا بالرشوة .
 * ومتى يكون مجبراً ؟
 إذا خيف على ماله أو دمه أو عرضه . .
 فقد روى أن عبد الله بن مسعود . . دفع دينارين كي يخلي سبيله . . عندما أسر بأرض الحبشة . . كما روى عن بعض أئمة التابعين قولهم : لا بأس أن يدافع المرء عن نفسه وماله إذا خاف الظلم عليهما . .
 ولكن الإمام الشوكاني يرى غير ذلك . . إذ يقول (الحق التحريم مطلقاً أخذاً بعموم الحديث . . ومن زعم الجواز في صورة من الصور . . فإن جاء بدليل مقبول . . وإلا كان تخصيصه رداً عليه . . فإن الأصل في مال المسلم التحريم) .
 لهذا يقول الهادي البشير (رضي الله عنه) :

« الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور متشابها ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .

(١) رواه الطبراني وغيره .

فإذا استعنت بفتوة على فتوة فلا لوم عليك ، وإذا استعنت برب القوة فذلك خير لك . . وهذا يختلف من شخص لآخر . . كل حسب إيمانه من القوة والضعف .

ولا تنس حديث النبي (ﷺ) :

« التقوى ها هنا .. التقوى ها هنا .. التقوى ها هنا » .

وأشار بأصبعه إلى صدره الشريف . .

فاستفت قلبك وإن أفتاك الناس وإن أفتوك .

هذا بالنسبة للراشئ المجبر . .

فما حكم المرتشئ والرائش ؟

إن المرتشئ والرائش لا يكونان مجبرين أبداً . . وإن كثرت الحجج ، وتعددت الأقاويل . . فهي واهية . . واهية . . واهية . . وأرض الله واسعة . . والأعمال الشريفة . . ما أكثرها . . وما أكرمها !!

ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١).

وإذا كان الراشئ ملعوناً والمرتشئ ملعوناً وملعوناً . . فإن الرائش ملعون وملعون وملعون . . لأنه هو الذي يسوِّج لكل منهما المنكر ، ويزين له أمره . .

فهو سفير السحت .. وبومة الخراب .. وعدو البركة .

• • •

مَنْ بَشَّرَ بَأَنَّثِي

﴿ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١)

(قرآن كريم)

« مَنْ بَشَّرَ بَأْنْتِي »

قال تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (١).

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

* « من رزق بأربع بنات كن له عوناً يوم القيامة .. قال صحابي : وإن كن ثلاث بنات يا رسول الله ؟ .. قال : وإن كن ثلاث بنات .. قال آخر : وإن كننتين يا رسول الله ؟ .. قال (ﷺ) : وإن كننتين .. قال آخر : وإن كانت واحدة ؟ .. فقال (ﷺ) : من رزق بأنثى وأحسن تربيتها كانت له حجاباً من النار يوم القيامة » .

وقد جاء في الأثر : قول حكيم ..

خير الناس من بكر بأنثى .. أي كانت أول ولادته أنثى ..

وتلا قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ .

فقدّم الله الإناث على الذكور .. لفضلهن .. على الوجود .. فهن رحم الحياة .. الذي يجود .. فلا يخل .. ويعطى بلا حدود ..



« المرأة كالأرض تعطى ما تأخذ »

ويروى أن رجلاً .. هجر زوجته .. مدة طويلة .. لأنها لا تلد إلا الإناث .. وأخذ يتردد على بيت قريب .. يريد الزواج من إحدى نسائه .. وعلمت زوجته بذلك .. ولم تجد ما تقوله غير هذه الكلمات .. تنعى بها حظها .. فقد تزوج زوجها .. ولم تعد تراه .. إلخ .. فقالت ...

ما لأبى حمزة لا يأتينا ويدخل البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
نبت ما قد يزرع فينا

(١) ٤٩ ، ٥٠ الشورى.

« اليوم .. كالأمس »

وما أشبه الليلة بالبارحة .. ولا جديد تحت الشمس !!

فللأسف ونحن في القرن الخامس عشر الهجرى .. والعالم الآن في الفضاء ..
وعلى مشارف القرن الحادى والعشرين الميلادى .. وفى عصر الكواكب .. لم نزل نسمع
هنا وهناك .. أن رجلاً أقسم على زوجته .. إن ألجبت أنثى .. بعد ذلك .. لتكونن
طالقاً .. وكأننا .. عدنا إلى الجاهلية الحمقاء من جديد .. فأى حرق .. هذا ؟ ! وهل
يملك هذا .. هو أو زوجته .. أو أهل الأرض جميعاً .. أن يخلقوا ذباباً .. ولو
اجتمعوا له .. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه .. ضعف الطالب والمطلوب ؟
هل يملك أحد أن يتحكم فى الجنين فيأتى به مرة ذكراً ومرة أنثى ؟

• • •

ردة وبربرية وعود إلى الجاهلية

إن هذا عودة إلى الجاهلية .. التى كانت تقتل الأنثى .. وتبقى على الذكر .. وقد
ندد الله بهذا .. فقال فى قرآنه الكريم : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ
كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ (١).

ولحكمة أرادها الله .. كانت ذرية رسول الله (ﷺ) إناثاً .. فقد ألجبت (ﷺ) ..
زينب ورقية وأم كلثوم .. وعندما ولدت زهرة أهل البيت وريحانة الرسول (ﷺ) ..
فاطمة الزهراء .. قالوا له : يا رسول الله إنها أنثى .. فقال لهم الرسول الكريم (ﷺ) :
هى ريحانة أشمها ..

وقد مد الله فى ذكره .. برغم أنف الحاقدين الحاسدين .. فقال تعالى :
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ
الْأَبْتَرُ ﴾ .

• • •

« حجاب من النار »

* وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبته ، أو صاحبهما إلا أدخلناه الجنة »^(١).

* وقال رسول الله (ﷺ) :

* لا يكون لأحدكم ثلاث بنات .. أو ثلاث أخوات فيحسن إليهم إلا دخل الجنة »^(٢).

* وقال (ﷺ) :

« ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يئن أو يمئن إلا كن له حجاباً من النار ، فقالت امرأة : أو بنتان ؟ قال : وبنتان »^(٣).

* وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئاً غير ثمرة واحدة .. فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها .. ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي (ﷺ) فأخبرته .. فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن .. كن له سعيراً من النار .. »^(٤).

* وفي حديث آخر :

« من ابتلى بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار ».

هؤلاء .. هن البنات .. اللائي يُحزنُ البعض .. إذا بشر بهن .. هؤلاء هن اللائي إن أحسن تربيتهن كن لنا حجاباً من النار .. يوم القيامة ..

هؤلاء الرياحين .. والورود .. التي نشمها .. عبقاً وأريجاً .. أثناء الليل وأطراف النهار .. هؤلاء اللائي يأتين يوم القيامة .. ويتعلقن بأبائهن .. ويقلن : يا ربنا : إنه أبونا .. أحسن تربيتنا .. إنها أمتنا .. أحسن تربيتنا .. فيأمر الله بدخول البنات الجنة .. فيقلن .. يا رب .. لن ندخل حتى يدخل أبائنا .. فيقول أرحم الراحمين : « ادخلوا الجنة أنتم وأبائكم ».



(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٢) رواه الترمذی .

(٣) رواه الطبرانی .

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذی .

الخمراًم الخبائث

- * « لا يدخل الجنة مدمن خمر »^(١).
- * « لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر رجل أبداً »^(٢).
- * « من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن »^(٣).
- * « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة :
 - ١ - مدمن خمر .
 - ٢ - العاق لوالديه .
 - ٣ - الديوث (الذى لا يغار على أهله) »^(٤).
- * « من سره أن يشرب الخمر فى الآخرة . . فليتركها فى الدنيا »^(٥).
- * « من شرب الخمر . . لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً . . حتى يتوب »^(٦).
- * « من شرب الخمر خرج نور الإيمان من قلبه »^(٧).
- * « من شرب الخمر أتى عطشان يوم القيامة »^(٨).
- * « من زنى أو شرب الخمر . . نزع الله منه الإيمان . . كما يخلع الإنسان القميص من رأسه »^(٩).

(٧) رواه الطبرانى .

(٨) رواه أحمد .

(٩) رواه الحاكم .

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه الطبرانى .

(٦) رواه الترمذى .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه أحمد .

« تحريم الخمر » « الخمر في القرآن »

ثلاث آيات .. نزلت في الخمر .. أولها تقييم ، وثانيها تقويم ، وثالثها تحريم ..

« قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ لَكَبِيرُونَ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ ^(١) .. وكان هذا جواباً شافياً لسؤال المسلمين عنها . وتقييماً للخمر وبياناً لما فيها من الإثم الذي يجاوز النفع .. فشربها من شربها .. وتركها من تركها .. إلى أن شرب رجل الخمر .. ودخل في الصلاة .. وهو سكران فقراً : « يا أيها الكافرون .. أعبد ما تعبدون » دون ذكر النفي ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ^(٢) .
فكانت هذه الآية تقويماً للمسلمين وتمهيداً لتحريمها تحريماً نهائياً ..

فنزل قول الله تعالى بالتحريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ ^(٣)
إلماً يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ؟ ^(٣) .

• • •

(١) ٢١٩ البقرة .

(٢) ٤٣ النساء .

(٣) ٩٠-٩١ المائدة .

(*) كوارث الطريق : ذكرت آخر الإحصائيات في الاتحاد السوفيتي السابق أن أكثر من ٥٦ ألف شخص قد لقوا مصرعهم وأصيب ٣٢٥ ألفاً آخرين في حوادث الطرق في الاتحاد السوفيتي خلال الأحد عشر شهراً الماضية مشيرة إلى أن العوامل الرئيسية وراء ارتفاع عدد حوادث الطرق في الاتحاد السوفيتي هي اللامبالاة وعدم الانضباط حيث تم ضبط ٢,٥ مليون سائق في حالة سكر خلال الـ ١٨ شهراً الماضية .

« الخمر في السنة »

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

* « لا يدخل الجنة مدمن خمر »^(١).

* « ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة .. وإن دخل الجنة »^(٢).

* « وأول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان .. عن شرب الخمر وملاحاة الرجال » .

* « وما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار .. فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون .. يقول أحدهم للآخر : يا فلان .. لا جزاك الله عني خيراً .. فأنتم الذي أوردتني هذا المورد .. فيقول له الآخر: مثل ذلك » .

* « ومن شرب الخمر في الدنيا .. سقاه الله من سم الأسود .. شربة يتساقط منها لحم وجهه في الإثاء .. قبل أن يشربها .. فإذا شربها يتساقط لحمه وجلده : فيتأذى به أهل النار ، ألا إن شاربها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والحاملة إليه ، وأكل ثمنها ، شركاء في إثمها .. لا يقبل الله منهم صلاة ، ولا صوماً ، ولا حجاً ، حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة ، كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم » .

* « ألا وإن كل مسكر خمر وكل خمر حرام »^(٣)

* « وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : « لعن رسول الله (ﷺ) في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والحاملة إليه ، وساقها ، وبائعها ، وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له »^(٤) .

* « وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال :

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »^(٥) .



(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذي .

(٥) متفق عليه .

« حديث عثمان بن عفان »

وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :
 « اجتنبوا أم الحبائث ، فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ، ويعتزل الناس ، فعلقته
 امرأة ، فأرسلت إليه خادماً . . إنا ندعوك لشهادة . . فدخل ، فطفقت . . كلما يدخل باباً
 أغلقته دونه . . حتى إذا أفضى إلى امرأة وضئئة جالسة ، وعندها غلام وباطية فيها خمر ،
 فقالت : إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام ، أو تقع على أو تشرب كأساً
 من الخمر ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك . . قال : فلما رأى أنه لا بد له من ذلك .
 قال : اسقيني كأساً من الخمر ، فسقته كأساً من الخمر . . فقال : زديني ، فلم تزل حتى
 وقع عليها . . وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر . . فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في
 صدر رجل أبداً ، وليوشكن أحدهما يخرج صاحبه »^(١) . .

• • •

« هاروت وماروت »

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول :
 « إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، قالت الملائكة : أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ . . قال : إني أعلم ما لا تعلمون .
 قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم ، قال الله للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة ،
 فننظر كيف يعملان ؟ » أي : اختاروا من بينكم ملكين يهبطان إلى الأرض وتركب فيهما
 الشهوة الأدمية . . . قالوا : ربنا . . هاروت وماروت . . قال : فاهبطا إلى الأرض ،
 فتمثلت لهما الزهرة « وهى أجمل النجوم فى السماء » امرأة من أحسن البشر ، فجاءها ،
 فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك . . قال : والله
 لا نشرك بالله أبداً ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت إليهما ومعها صبي تحمله ، فسألاها
 نفسها ، فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي ، فقالا : والله لا نقتله أبداً ، فذهبت ، ثم
 رجعت بقدر من خمر تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تشربا هذه الخمر ،
 فشربا وسكرا ، فوقعا عليها وقتلا هذا الصبي ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركتما من
 شيء أبيتماه على . . إلا فعلتماه حين سكرتما . . فخيراً عند ذلك بين عذاب الدنيا
 والآخرة . . فاختارا عذاب الدنيا »^(٢) .

(٢) رواه أحمد .

(١) رواه ابن حبان والبيهقي .

« عطشان يوم القيامة »

ويقول رسول الله (ﷺ) :

* « من شرب الخمر أتى عطشان يوم القيامة »^(١).

* « كل مسكر حرام ، وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .
قالوا : يا رسول الله ! وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »^(٢).

• • •

« من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة »

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« من مات من أمتي وهو يشرب الخمر ، حرم الله عليه شربها في الجنة ، ومن مات من
أمتي ، وهو يتحلى الذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة »^(٣).

• • •

الشخصية الإسلامية

وقد حرم الإسلام الخمر . . ليس حرماناً للمسلم من شيء فيه منفعة . . وإنما خوفاً
على العقل أن يضل . . والشخصية أن تميع . . والبهاء أن يذهب . . والرجولة أن
تضيع . . فعن عبد الله بن عمرو أن النبي (ﷺ) قال :

« الخمر أم الغيaths » .

وقال :

« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه ،
وخالفه ، وعمته . . . » .

• • •

(١) رواه أحمد وأبو يعلى .

(٢) رواه مسلم والنسائي .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

« الخمر في الأديان السابقة »

وكما أن الخمر محرمة في الإسلام .. فهي محرمة في المسيحية .. وفي الأديان السابقة .. فقد جاء في الكتاب المقدس .. تحريمها تحريماً مطلقاً .. سواء كانت من الشعير أو من التمر أو من العسل أو من العنب .. أو من الحنطة .. أو ما خامر العقل .

ومن هذه الأقوال المذكورة عندهم :

* « لا تسكروا بالخمر الذي فيه اغلالة » .

* « السكران من الخمر لا يرث ملكوت السموات » .

* « لا تخالط السكير .. فتفقد هيبتك » .

• • •

« سكران »

وقد ذكر ابن أبي الدنيا .. أنه مر بسكران .. وهو يسول في يده .. ويغسل به يده كهيئة المتوضئ .. وهو يردد كلمات الوضوء .. « الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً » ..

• • •

« يسمونها بغير اسمها »

فعن جابر (رضي الله عنه) : أن رجلاً قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن .. فسأل رسول الله (ﷺ) : عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له : المنزر .. فقال رسول الله (ﷺ) : « أو مسكر هو ؟ » .. قال : نعم . قال رسول الله (ﷺ) : « كل مسكر حرام .. وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .. قالوا : يا رسول الله ! وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »^(١) .

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام »^(٢) .

(٢) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود .

(١) رواه مسلم والنسائي .

ويقول (ﷺ): « يشرب ناس من أمتي الخمر ، ويسمونها بغير اسمها ، يضرب على رموسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والغنازير »^(١).

• • •

« من أنواع الخمر »

من أهم الأنواع التي تسمى بأسماء مختلفة وهي : خمر حرام :
البراندى ، والويسكى ، والروم ، والليكير ، والجن ، والهولندي ، والجنيف ، والشرى ،
والماديرا ، والكلارت ، والشمبانيا ، والهوك ، والبرجاندى ، والبيرة .. مثل : الأيل ، والستوت ،
والبورتر ، والميونخ ..
كذلك .. القصب المتخمّر .. والبوظة ، والأقراص المخدرة ، وتعاطى الحشيش ، والأفيون ،
والكوكايين ، ونحوها من المخدرات ، كالسموم الحديثة .. بيضاء كانت أو سوداء ..

• • •

« كل مسكر حرام »

من هنا نعلم أن كل مسكر خمر .. وكل خممر حرام^(٣) .. كما قال مسك
الختام .. (ﷺ): « كل مسكر حرام »^(٣) ..
ومعنى هذا : أن أى شراب أسكر كثيره فقليله وكثيره حرام ، حتى ولو سمي بغير
اسمه .. للتضليل .. أو التحليل ..
فعن على (كرم الله وجهه) أن رسول الله (ﷺ) نهاهم عن الجعة « وهي نبيذ من
الشعير » « أى : البيرة »^(٤).

كما أنه لا يجوز شراب نبيذ مرّ عليه ثلاثة أيام .. سواء كان عسلاً ، أو قصباً ، أو
عنباً ، أو زبيباً ، أو تمرّاً ، أو حنطة ، أو شعيراً .. لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) في العصير
« اشربه ما لم يأخذه شيطانه ، قيل : وفي كم يأخذه شيطانه ؟ .. قال : فى ثلاث »^(٥).

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه أبو داود والنسائي .
(٥) رواه أحمد عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .

إذا كانت هذه هي أنواع الخمر ، فما هي الأنواع التي تأتي منها الخمر ؟
 روى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطب على منبر رسول الله (ﷺ)
 فقال : « أما بعد ، أيها الناس : إنه نزل تحريم الخمر ، وهي من خمسة أشياء : من العنب ،
 والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والخمر ما خامر العقل » .
 ومعنى : والخمر ما خامر العقل . . أى : ما سمي بغير اسمها . . كما قلنا : للتحليل
 وللتضليل . . وخامر العقل . . أى : أفقده اتزانه . . وستر مداركه . .



« المخدرات »

ولا شك أن المخدرات . . التي تنزّل العقل من غير الأثرية . . كالحشيش مثلاً . .
 حرام . . بل إن بعض علماء الحنفية قال : إن من قال بحل الحشيش . . زنديق مبتدع .
 وقال ابن تيمية : « هذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ، ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله
 تعالى ، وسخط رسوله ، وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشمل على
 ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين ،
 وتورث من مهانة أكلها ودناءة نفسه .. وغير ذلك .. ما لا تورث الخمر . ففيها من المفساد ما
 ليس في الخمر . فهي بالتحريم أولى .. وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام .. ومن
 استحل ذلك وزعم أنه حلال .. فإنه يستتاب .. فإن تاب ولا قتل مرتداً ، لا يصلى عليه
 ولا يدفن في مقابر المسلمين » .

إنه لقمة الفسق والفجور . . إنه اللقمة الملعونة . . التي لا تعد خصالها القبيحة . .
 ولقد عد منها العلماء مائة وعشرين مضرّة دينية ودنيوية . .
 وإن الأفيون لأكثر سوءاً . . وأشد مضرّة . . من هذه الحشيشة الخبيثة . . وبه من
 المضار . . ما لا يعلمه إلا الله . .

فتعاطى هذه المخدرات الخبيثة على أى وجه من الوجوه . . سواء كانت أكلاً ، أو
 شرباً ، أو شمّاً ، أو احتقاناً ، أو مسحاً . . حرام . . وإنه يحرم ما أسكر من أى شيء .
 وإن الأقراص المجنونة - أقراص الهلوسة - التي يتعاطاها شباب اليوم . . والتي
 استفشت كالوباء بين الشباب والتلاميذ . . والتي نحاول جاهدين محاصرتها والقضاء

عليها . . هي أخطر وأفسد من الخشيش والأفيون . . لما ثبت علمياً من أن تعاطيها يجلب الأمراض المزمنة التي يطول علاجها . . والأمراض الخبيثة التي يصعب علاجها . . نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .



« تجارة الخمر والمخدرات »

إذا كان هذا حال شارب هذه الخمر ومتعاطي المخدرات . . فما حال المتاجر فيها والأكل ثمنها ؟ يقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« إن الله حرم بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام »^(١) .

وما حرم أكله حرم ثمنه . . وما حرم ثمنه . . حرم بيعه . . وما حرم بيعه . . حرم صنعه أو زرعه . . ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« أتاني جبريل فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، والحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وساقها ، ومسقاها »^(٢) .

كما يحرم ثمن هذه الخمر والمخدرات لحديث النبي (ﷺ) :

« إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه »^(٣) . فيصبح ثمن هذه المخدرات خبيثاً سحياً حراماً . . وكل جسم نبت من حرام . . فالنار أولى به . . ولا تقبل عبادته حتى يتوب . . « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » . وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . . فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾^(٤) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِيَاءَهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(٥) .

(٢) رواه أحمد .

(٤) ٥١ المؤمنون .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) ١٧٢ البقرة .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ممد يده إلى السماء .. يا رب .. يا رب ..
ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ؛ فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

وروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : تليت هذه الآية عند رسول الله (ﷺ) :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ فقام سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) فقال : يا
رسول الله .. ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي (ﷺ) : يا سعد أظن
مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده : إن العبد ليقدف باللقمة الحرام
في جوفه.. ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به^(١) .



« حرام في الدنيا .. حلال في الآخرة »

وقد يسأل سائل .. كيف نشرب في الآخرة محرماً علينا في الدنيا ؟ .. لقوله
تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾^(٢) .

فكيف يحرم الله الخمر في الدنيا ويحللها في الآخرة .. ؟

إن الخمر التي في الدنيا .. تفقد شاربها عقله وتخل بإدراكه .. وتجعله منحلاً نفسياً
وجسدياً .. ديوناً لا يغار على أهله .. لحديث النبي (ﷺ) :
« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه
وخالته ، وعمته » .

أما الخمر التي في الآخرة .. فهي خمر طيبة .. من رب طيب .. لذة للشاربين ..
لا تفقد صاحبها .. ولا يفقدها صاحبها .. يقول تعالى : ﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ ..
ويقول جل وعلا : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ﴾ .

(١) رواه الطبراني في الصغير .

(٢) سورة محمد (ﷺ) .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ﴾ أى : أنهار جاريات من خمر للذبة
الطعم ، يتلذذ بها الشاربون . . وقد قيدها الله تعالى بأنها لذة للشاربين ، لأن الخمر كريهة
الطعم فى الدنيا . . لا يتلذذ بها إلا فاسد المزاج . . الذى ليس له علاج . . أما خمر الآخرة
فهى طيبة الطعم والرائحة واللون ، يشربها أهل الجنة للالتذاذ . . والمتعة . . والهناء . .

• • •

الخمر والحريروالذهب

والخمر فى الدنيا شأنها شأن الحريروالذهب . . من تركهما فى الدنيا مخافة الله
تعالى . . ألبسهما الله إياه فى الآخرة . . لحديث النبى (ﷺ) :

« من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة .. فليتركها فى الدنيا ..

ومن سره أن يكسوه الله الحريرو فى الآخرة فليتركه فى الدنيا »^(١) .

وقوله (ﷺ) :

« من مات من أمتى ، وهو يشرب الخمر ، حرم الله عليه شربها فى الجنة »^(٢)

ومن مات من أمتى ، وهو يتحلّى بالذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة .

وفى الحديث القدسى عن رب العزة :

« من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقيته منه فى حظيرة القدس : ومن ترك الحريرو ، وهو

يقدر عليه لأكسونه إياه فى حظيرة القدس »^(٣) .

• • •

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط

(٢) رواه أحمد والطبرانى .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن .

التداوى بالخمر

كان يشيع بين الناس أن فى الخمر دواء . . بحجة أن الكحول له تأثير تنبيهى على القلب ، والحقيقة أن الكحول لم يصل بعد إلى رتبة الأدوية المنبهة (كالأستركين) و (الكورامين) وقد يقول قائل أو يسأل سائل : كيف هذا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ (١) .

إذن فهناك منافع . . ولكن ما هى هذه المنافع . . ومن هم هؤلاء الناس ؟
إن الحق سبحانه لم يقل منافع للشاريين واللاعبين . . فلا شك أن الشارب واللاعب يذهب منه دينه ويذوى عقله . . وتبدد ثروته . . وتنفى صحته . . وإنما المنافع هى منافع مادية ، تكون للتجار الذين يتجرون فيها ، وأصحاب الحانات والملاهى والعاملين عليها ، وما شاكل هؤلاء ، فضلاً عن عاصريها ومعتصريها . .

هذا وقد أعلن رسول الله (ﷺ) أنه لا دواء فى حرام . . وقد كان الناس فى الجاهلية قبل الإسلام يتناولون الخمر للعلاج ، فلما أشرق نور الإسلام نهاهم النبى (ﷺ) عن التداوى بها وحرمه .

فقد روى الإمام أحمد عن طارق بن سويد . . أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن الخمر فنهاه عنها . . فقال : « إنما أصنعها للدواء » . . فقال (ﷺ) :
* « إنه ليس بدواء ، ولكنه داء » (٢) .

* « إن الله أنزل الداء والدواء ، فجعل لكل داء دواء ، فتداؤوا ، ولا تتداؤوا بحرام » (٣) .
ولقد كانوا يتعاطون الخمر فى بعض الأحيان قبل الإسلام لبرودة الجو . . لتدفئة أجسامهم . . وجاء الحق وزهق الباطل فنهاهم الإسلام عن ذلك . . فقد سأل « ديلم الحميرى » رسول الله (ﷺ) فقال :

(١) ٢١٩ البقرة .

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) رواه أبو داود .

« يا رسول الله .. إنا بأرض باردة ، نعالج فيها عملاً شديداً ، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ؟
قال رسول الله (ﷺ) : هل يسكر ؟
قال : نعم .
قال : فاجتنبه .
قال : إن الناس غير تاركه .
قال : فإن لم يتركوه فقاتلوهم » .

• • •

« ليس بدواء ولكنه داء » « وما جعل الله شفاءكم في حرام »

* يقول الهادي البشير (ﷺ) :
« إن الله ما جعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » ..
وروى أن الله تعالى عندما حرم الخمر سلب منها المنافع .. والدواء .. وفي هذا يقول المعصوم (ﷺ) :
* « إنه ليس بدواء ، ولكنه داء .. » .
* « ما جعل الله شفاءكم في حرام » .
فمن تداوى بها وهو مريض زاده الله مرضاً ، ومن شربها وهو صحيح مرض . وقد أثبت الطب أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمر أكثر استعداداً للمرض ، وأقل تحملاً لمقاومة الأمراض ، وقد جاء بإحصائية لشركات التأمين على الحياة أن استعمال الخمر ولو بمقدار يسير .. يقصر أمد الحياة .. وقد يسأل سائل : كيف يقصر أمد الحياة .. أو كيف يقصر العمر ؟ والله يقول : ولكل أجل كتاب ؟! فأقول : نعم يقصر العمر .. فكما أن البر يطيل العمر .. فإن الخمر يقصر العمر .. بل أكثر من ذلك .. فإن الأيام التي يعيشها شارب الخمر والمخدرات على قلتها .. يعيشها عيلاً مريضاً .. وهذا في حد ذاته قصر للعمر ..

كما أنه من الأضرار الجسيمة التي يتسبب فيها شارب الخمر . . ومتعاطي المخدرات . . حلول الفقر ودوامه . . لأن الخمر نذير الفقر . . فما دخل الخمر إلى بيت إلا وقال له الفقر خذنى معك ، وما دخل الخمر إلى عقل إلا وقال له المرض : إني ها هنا . . وإن شارب الخمر : إذا أنفق أئلف ، وإن سخا أسرف .

ولله در القائل :

شربت الخمر حتى ضل عقلي كذاك الخمر تفعل بالعقول
وقول الآخر :

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي
كما أن الخمر والمخدرات نذير شؤم على شاربيها أو متعاطيها . . فإنها نذير شؤم على كل من يصاحب هؤلاء . . أو يسير معهم . . وكثيراً ما نسمع عن حوادث أودت بحياة الأبرياء . . وأهلكت الأموال والأحوال . . وكان وراءها سكران من هؤلاء الذين لا خلق لهم ولا دين .

كما أن الخمر تودى بالمروءة والأخلاق ، وتضعف النفس ، وتوهن الشخصية ، وتقود إلى فعل الفواحش والموبقات ، ولا عجب في هذا وقد لخص هذا رسول الله (ﷺ) بقوله : « الخمر أم الغيaths » ، « الخمر أم الفواحش » و « الخمر رأس الشر » لا جدال . . فقد قيل لرجل يشرب الخمر يوماً : ما تصنع بك الخمر ؟ قال : إنها تهضم طعامي ، فقال له : إنها تهضم من دينك ومن عقلك أكثر مما تهضم من أكلك . .

فكلما أسرف شارب الخمر في الشراب ، كلما ازداد طيشاً وغباء ، فيصبح خفيف العقل . . كثير النقل . . يحتفى بالرديلة . . ويهزأ بالفضيلة . . لا يغار على أهله . . ولا يخجل من جهله ، ويصبح في الناس إمعة .



« وكان أبوه فاسداً »

وكما أن الخمر يؤثر على شاربه والحشيش والأفيون يؤثران على أصحابهما . . فإن التأثير لا يتوقف عند هذا الحد فحسب . . بل يشمل الأصول والفروع . . فيمتد إلى اللرية . .

فقد جاء في تقرير طبي : أن أولاد السكيرين ينشأون معتلئ الأجسام ، ناقصي

الأوزان .. بعض الأحيان .. كما أن دافع الشر فى نفوسهم شديد .. والميل إلى الإجرام عندهم قائم ..

كما أن الخمر تعد من أسباب الإجهاض المباشرة .. كما أنها من أسباب التشوهات الخلقية عند الجنين .. فضلاً عن العلات الخلقية التى تنتقل إليه من نطفة أبيه ..



« مفتاح كل شر »

وصدق رسول الله (ﷺ) :

* « الخمر مفتاح كل شر .. وإن خطيئتها تملو كل الخطايا ، كما أن شجرتها تملو كل الشجر .. » وما كان مفتاح كل شر .. كان مغلاق كل خير ..

وقد جاء فى تقرير طبى عن أضرار الخمر .. ما يمنع تعاطيها منعاً باتاً .. لضررها البالغ .. وأثرها القاتل ..



« المرض الخبيث »

« إن الخمر^(١) من أعظم الأخطار التى تهدد النوع البشرى ؛ لا بما تورثه مباشرة من الأضرار السامة فحسب ، بل بعواقبها الوخيمة أيضاً ؛ إذ أنها تمهد السبيل لخطر لا يقل ضرراً عنها ، ألا وهو « السل » .. ذلك المرض القاتل ..

والخمر توهن البدن ، وتجعله أقل مقاومة وجلداً فى كثير من الأمراض مطلقاً ، وهى تؤثر فى جميع أجهزة البدن ، وخاصة الكبد ، وهى شديدة الفتك بالمجموعة العصبية ..



(١) مجلة التمدين الإسلامى بقلم د. عبد الوهاب خليل .
بين الطب والإسلام بقلم د. حامد الغواوى .
فقه السنة للشيخ الفقيه / سيد سابق .

« جرثومة البؤس »

لذلك لا يستغرب أن تكون من أهم الأسباب الموجبة لكثير من الأمراض العصبية ،
ومن أعظم دواعى الجنون والشقاوة والإجرام ، لا لمستعملها وحده ؛ بل وفى أعقابها من
بعده . فهى إذن علة الشقاء والعوز والبؤس ، وهى جرثومة الإفلاس والمسكنة والذل -
وما نزلت بقوم إلا أودت بهم : مادة ومعنى . . بدنًا وروحاً . . جسماً وعقلاً . .

كما أن هذا الكون الذى يسير وفق نظام وترتيب ربانى يقتضى ألا يمس بشيء يخل
به . . فتسود الفوضى وتنشأ التفرقة . . التى هى هدف الأعداء الأول . . تحت شعار :
فرِّق تسد .

كما أن هذه الأموال التى تبدد من أجل شراء هذه الخمر بالعملات الصعبة . . ضرر
اقتصادي يصيب المجتمع بالتضخم ، ويكبِّله بالديون . . ولو أحسن لأنفقتها فى تحسين
المطعم والمشرب . . وبناء المصنع . . واستصلاح الأرض . . التى تدر نفعاً عاماً للناس
كافة . .

كما أن معظم رواد السجون من هؤلاء المخمورين . . الذين وجدوا الخمر ميسرة لهم
فشريوها . . وبعد أن شربوها . . تزينت لهم الجريمة ففعلوها . . وفتحت السجون
فدخلوها . . بأيدينا نحن لا بأيديهم هم . .

إنها حلقة مفرغة . . نأمرهم بما ننهاهم عنه ، وننهاهم عما نأمرهم به . . ونزجرهم
عما ندعوهم إليه . . ندعوهم إلى ما نزجرهم عنه . . انعكاس وانعكاس . . وامتلات
الأرض بالمجرمين . .

فمن سمع أن البنت تخطف من بين والديها ، وتوضع فى سيارة ، ولا يعثر عليها إلا
بعد أسبوع . . وقد نال منها المجرمون ما أرادوا . .

ومن قال إن المرأة تخطف من بين أولادها وزوجها . . ثم ترمى فى صحراء سبتى بعد
أن ينال منها مختطفوها ما يشاءون . .

• • •

« جريمة بشعة »

ولقد جاءت امرأة تبكى إلى أحد العلماء تسأله في مسألة . . وقد ذابت خجلاً
رحيماً . . وحسرة . . قالت المرأة :

لقد حملت ابنتى من حرام . . فهل يصح لى أن أجهضها ؟
وأخذت تقص القصة . .

لقد عاد أبوها ذات مساء وهو سكران . . ولم يكن بالبيت سواها . . فواقعها رغباً
عنها . . بعد أن شج رأسها وأدامها وهي تقاومه . . وشاء الله أن تحمل من الحرام ، وهي
نسأل ماذا تفعل ؟ وما مصير هذا الجنين ؟

هذه واقعة تحدث في العالم كل يوم . . بل كل ساعة . . فإلى متى ؟
إنها الخمر أم الخبائث . . إنها الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر
ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته . . ولعن الله ناكح جزقه .



« أمريكا والخمر »

كل هذه الأضرار والمقاسد . . جعلت حكومة أمريكا ، وهي رأس المدنية في العصر
الحديث . . تسن قانوناً بتحريم الخمر . . وقد تحملت أمريكا في ذلك الكثير من الأموال
والرجال . .

ولقد تكلف هذا القانون ٣٠٠ مليون جنيه ، و ٣٠٠ نفس ، و ٦٠٠,٠٠٠ سجين ،
وبلغت الغرامات ١٦ مليون جنيه . . كما صادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون جنيه ،
وسخرت كل وسائل المدنية الحديثة لمحاربتها ، ومنع تداولها طيلة أربعة عشر عاماً . . دون
جدوى . . فما زاد هذا . . الشعب الأمريكى إلا ولعاً بالخمر وإصراراً عليها . . حتى
انهزمت الحكومة الأمريكية أمام الشعب الأمريكى . . فسحبت هذا القانون وأباح
الخمر . . فعاد إليها الشعب الأمريكى الذى لم يتركها . . عاد إليها شرهاً . .

وإذا كانت أمريكا لم تنجح في تحريمها بعد هذه الثورة فلأن قانونها وضعى . . وضعه
بشر . . يصيب ويخطئ . . بشر يأمر بشراً . . وبشر ينهى بشراً . . ويظن أنه بالمسال

يستطيع أن يوحد ويفرق ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ (١) .

أما قانون السماء . . القانون السماوى . . عندما نزل بتحريمها . . تجنبها المسلمون « وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . . » (٢) .

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال :

« ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذى تسمونه الفضيخ ، إننى لقائم أسقى أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب النبی (ﷺ) فى بيتنا ، إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا : لا ، فقال : إن الخمر قد حرمت . . فقال : يا أنس ، أرق هذه القلال . قال : فما سألوها عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل » (٣) .

إنه الإيمان الذى ملك القلوب .

إنه الإيمان الذى يصنع المعجزات .

إنه الإيمان الذى . . يزيل الجبال ولا يزول . .

إنه الإيمان . . الذى وقر فى القلب وصدقه العمل .

• • •

كيفية تحريم الخمر

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٤) .

(١) ٦٣ الأنفال .

(٢) ٢٨٥ البقرة .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) ٩٠ ، ٩١ المائدة .

على ثلاث مرات

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، فسألوا النبي (ﷺ) عنهما . . . فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (١) . فقال الناس ما حرما علينا إنما قال : « فيهما إثم كبير ومنافع للناس » وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين ، أم أصحابه في المغرب ، فخلط في قراءته . . . فأنزل الله آية أشد منها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (٢) .

فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغيب . . . ثم أنزلت آية أشد من ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأُزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (٣) . قالوا : انتهينا ربنا . . . وقال الناس : يا رسول الله : ناس قتلوا في سبيل الله . . . وماتوا على فرسهم ، كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان ؟ . . . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ﴾ (٤) . فقال النبي (ﷺ) : « لو حرم عليهم لتركوه كما ترككم » .

وقال الإمام أحمد : يروى عن عمر بن الخطاب : أنه قال لما نزل تحريم الخمر . . . قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . . . فنزلت الآية التي في سورة البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه . فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾ فكان منادى رسول الله (ﷺ) إذا قال : حى على الصلاة نادى : لا يقربن الصلاة سكران . فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية التي في المائدة .

(١) ٢١٩ البقرة .

(٢) ٤٣ النساء .

(٣) ٩٠ المائدة .

(٤) ٩٣ المائدة .

فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى ﴿ فهل أنتم متتهون ﴾ قال عمر :
انتهينا .

وروى ابن عباس أنه كان لرسول الله (ﷺ) صديق من ثقيف لقيه يوم الفتح براوية
خمر . . فقال له الرسول (ﷺ) : « يا فلان أما علمت أن الله حرمها » فأمر الرجل غلامه
ببيعها . . فقال له الرسول (ﷺ) : « إن الذي حرم شربها حرم بيعها » . . فأمر بها فأفرغت
فى البطحاء .

• • •

« قول مردود على أصحابه »

يقول بعض السفهاء إن الله لم يحرم الخمر . وإنما قال : فاجتنبوه . . فهل أنتم
متتهون . . ولم يقل بتحريمها .

والمأمل لمعنى كلمة . . الاجتناب . . يجدها أشد من كلمة التحريم . . لاسيما وأنها
من رب كريم حكيم عليم . .

فعندما يقول الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ أى لا تقترب حتى من مقدمات هذا
الزنى . . وهى أقوى من « لا تزنوا » . . أى أن مجرد القرب من هذا الزنا حرام . . فما
بالنا بالوقوع فيه . . وبهذا حرم الله الزنا .

كذلك الخمر . . فاجتنابها أشد من تحريمها بمعنى أن اجتناب الشيء أشد من
تحريمه . . فإذا قال الله : لا تشربوا الخمر . . لكان يجوز لنا أن نجلس فى الحانة معهم . .
وأن نصنعها ونبيعها ونأكل من ثمنها . . كما كان يجوز لنا أن نهديها إلى أصحابنا ،
ونقتنيها فى بيوتنا .

ولكن الحق سبحانه وتعالى قال : فاجتنبوه . . أى مجرد الجلوس معهم فى حانتهم
حرام . . لأن الاجتناب يعنى اجتناب كل طريق يؤدى إليها ، واجتناب كل صديق يؤدى
إليها . واجتناب كل مكان هى فيه . . وخير تفسير لهذا الاجتناب ما روى عن أنس (رضي الله عنه)
قوله :

لعن رسول الله (ﷺ) فى الخمر عشرة :

« عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقها ، وبائعها ، وأكل
ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له » . .

أليس هذا الحديث دليلاً كافياً وتفسيراً شافياً .. لمعنى الاجتناب .. الذى يشمل التحريم والاقتراب .. ورداً على هؤلاء الزنادقة المسرفين .. هم ومن تبعهم .. ممن يتعاطون المخدرات كالحشيش مثلاً وإذ خاطبهم مخاطب .. قالوا له : إنه الحسيس « بالسين لا بالشين » الذى يرى الإحساس .. ويزكى الفؤاد ويجعل البديهة حاضرة ..

وهؤلاء السكير .. دائماً متفلسفون .. فهم يقولون .. لناصحتهم .. حتى يشغلوه عن دعوتهم إليهم : إنه « أى الحشيش » ليس اسمه حشيشاً .. وإنما اسمه الحسيس .. وهو ليس بحرام .. فإذا ما أكدت لهم أنه حرام بالأحاديث .. قالوا لك : اثبتنا بآية من القرآن تحمل تحريمه ؟ .. فإذا جئتهم بحديث .. قالوا لك .. بل أريد آية .. وملعون من قال أؤمن بالقرآن ولا أؤمن بالسنة .. وما السنة إلا تفصيل الكتاب لا ريب فيه .. فهل جاء فى كتاب الله : أن صلاة المغرب : ثلاث ركعات .. أو أن العشاء أربع ركعات .. ؟ كلا .. وإنما الذى وضح هذا سنة النبى (صلى الله عليه وسلم) .. التى هى النور والهدى للناس أجمعين لحديث النبى (ﷺ) : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به .. لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وستى »^(١) .

هذا وقد أجمع جمهور العلماء وأئمة المسلمين على أنه :

من شرب الحشيش مستحلاً له ، فقد كفر .. لا يدفن في قبور المسلمين .. ولا يصلى عليه ..

ولقد قال علماء الحنفية :

« إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« إن الحشيشة حرام ، يُحدُّ متناولها .. كما يحد شارب الخمر . ، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج ؛ حتى يصير فى الرجل تخنث وديانة ، وغير ذلك من الفساد ، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً أو معنى » . فقد قال رسول الله (ﷺ) :

« كل مسكر حرام »^(٢) . وقال :

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

« كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وقال :

« كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » . وقال :

« إن من الخبطة خمر ، ومن الشعير خمر ، ومن الزبيب خمر ، ومن التمر خمر ، ومن العسل خمر ، وأنا أنهي عن كل مسكر . »
وقال (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام . . » .

ويقول الإمام الكبير ابن القيم (رحمه الله) فى كتابه زاد المعاد :

« إن الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعاً كان أو جامداً ، عصيراً أو مطبوخاً فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور - وكان ابن القيم يسمي الحشيش - لقمة الفسق والفجور لأن هذا كله خمر بنص حديث رسول الله (ﷺ) الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا إجمال فى متنه ، إذ صح عنه قوله « كل مسكر خمر » كما أنه صح عن أصحابه (رضي الله عنهم) الذين هم أعلم الناس بخطابه ومراده ، « بأن الخمر ما غامر العقل » .

على أنه لو لم يتناول لفظه (ﷺ) كل مسكر ؛ لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل جهة ، حاكماً بالتسوية بين أنواع المسكر ، فالتفريق بين نوع ونوع ، تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه وجاء عن الحافظ ابن حجر . . نقلاً :

أن من قال : إن الحشيشة لا تسكر . وإنما هى مخدر مكابر ، فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة .

وقد جاء فى سبل السلام :

« أنه يحرم ما أسكر من أى شىء . وإن لم يكن مشروباً كالخشيشة »

كما ثبت طبياً : أن الحشيشة التى تزرع بأرض مصر هى أكثر أنواع الحشيش سكرًا ومضرة إذا تناول منها المرء قدر رأس ذبابة . .

ولقد سمعت من صديق أمين أن رجلاً ممن يسرفون فى تعاطى الحشيش أصيب بمرض خطير جعله يتقيأ صديداً أسوداً . . ويصرخ كلما جاءته هذه النوبة صرخة . تجمع

البعيد والقريب ولقد حار فيه الأطباء دون جدوى .. وما زال يعاني من هذه الحالة ..
بين الحياة والموت فلا هو يعيش فيستريح ولا هو يموت فيستريح ..

هذا حتى نعلم أن مفاسد وأخطار هذه المخدرات وأضرارها .. لا تحصى ولا تعد
ومن أفتى بحلها .. فهو زنديق مبتدع .. من الذين يفترون على الله الكذب ، ويقولون
على الله ما لا يعلمون ..

وإذا كان الخمر حراماً وأضراره لا تحصى .. فإن الحشيش حرام وأضراره لا تعد ..
وإذا كان الخمر والحشيش محررين وأضرارهما لا تعد .. فإن الأفيون حرام وأضراره
لا تحصى ولا تعد ..

وليست العبرة بالأسماء .. وإنما العبرة بالمسكر ذاته .. فأى شيء يسكر .. فهو
حرام .. شكلاً وموضوعاً .. لفظاً ومعنى ..

وقد تنشأ أسماء جديدة وسوف يكون هذا .. فما أسكر كثيره فقليله حرام . بنص
حديث مسك الختام محمد (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام » .



« حبوب الإجرام »

ونسلم هذه الأيام عن « حبوب الإجرام » التي ظهرت بين أيدي الشباب من إخواننا
وأبنائنا .. وأقول وأحذر : إنها « حبوب الآلام » .. « حبوب الأورام » .. « حبوب
الأسقام » .. « حبوب الدمار » .. والقلق والاكتئاب وفساد المزاج ، التي ليس لها علاج ..

فعلى شبابنا المسلم أن يحافظ على نفسه وأن يحافظ على دينه وإيمانه ، وليعلم أن الله
طيب لا يقبل إلا طيباً .. وأن العقل السليم في الجسم السليم ، وأن القلب السليم في الخلق
العظيم .. وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. وأن من زرع صبراً
لا يمكن أن يحصد شهداً أبداً .. فأزرع في جسدك ما تحب أن تحصد غداً ..



« عقوبة شارب الخمر »

قال رسول الله (ﷺ) :

« من شرب الخمر فاجلدوه ؛ فإن عاد فاجلدوه ؛ فإن عاد فاجلدوه ؛ فإن عاد فاجلدوه ؛ فإني عاد فاقتلوه . »

فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده . . ورفع القتل ، وكانت رخصة . .

• • •

« حد شارب الخمر »

عن أنس (رضي الله عنه) قال :

أتى رسول الله (ﷺ) برجل قد شرب الخمر ، فضربه بالنعال نحواً من أربعين ثم أتى به أبو بكر . فصنع مثل ذلك . ثم أتى به عمر فاستشار الناس في الحدود . فقال عبد الرحمن بن عوف :

« أقل الحدود ثمانون »

فضربه عمر ثمانين جلدة . . وكتب به إلى خالد وأبى عبيدة بالشام

• • •

« ثبوت الحد »

يثبت الحد بأحد أمرين :

١ - الإقرار : وهو اعتراف الشارب بأنه شرب الخمر

٢ - الشهادة : وهي شهادة شاهدين عدلين .

• • •

« شروط إقامة الحد »

يشترط لإقامة الحد على شارب الخمر . . الشروط الآتية :

- ١ - العقل ؛ أن يكون عاقلاً . . غير مجنون ولا معتوه .
- ٢ - البلوغ ؛ أن يكون بالغاً . . بلغ سن التكليف .
- ٣ - الاختيار ؛ أن يكون قد شربها باختياره دون إكراه بتهديد بقتل أو ضرب أو خطر ، أو خلافه . . وإلا رفع عنه الإثم ، لحديث النبي (ﷺ) :
« رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه » .
والضرورات تبيح المحظورات :

يقول تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ .. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
٤ - العلم ؛ أن يكون على علم بأن ما يشربه خمر ، فإن جهل أنه خمر فلا لوم عليه . . أما إذا اشتبه فيه ، درأنا الحدود بالشبهات . . يستوى في إقامة الحد : الحر والعبد . . المسلم والكافر ما داموا جميعاً في أرض الإسلام . . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . . إلا أن عقوبة العبد على النصف من عقوبة الحر ، فيكون حده عشرين أو أربعين بحسب تقدير العقوبة .



« ثمرات النخيل والأعناب »

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا » دل على إباحته شرعاً قبل تحريمه . . ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل . . كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك . .

(١) ٦٧ النحل .

كما قال ابن عباس في قوله «سكراً ورزقاً حسناً» قال : السكر ما حرم من ثمرتيهما . . والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما . . وفي رواية : السكر حرامه ، والرزق الحسن حلاله . . يعنى ما ييس منهما من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس . . وخل ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد . . كما وردت السنة بذلك «إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» ناسب ذكر العقل هنا ، فإنه أشرف ما فى الإنسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها

قال تعالى

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿١﴾

• • •

« شرب العصير والنبيذ قبل اختماره »

يجوز شرب العصير والنبيذ قبل غليانه واختماره

فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه) فقال

علمت أن النبي (ﷺ) كان يصوم ؛ فتحينت قطرة بنبيذ صنعته فى دباء ؛ ثم أتيته به ، فإذا هو ينش فقال :

اضرب بهذا الحائط ؛ فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر

• • •

« اشربه ما لم يأخذه شيطانه »

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال :

أنه كان يتقنع للنبي (ﷺ) الزبيب فيشربه اليوم والغد وبعد الغد ؛ إلى مساء الثالثة .
ثم يأمر به فيسقى الخادم أو يهرق .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال :

« اشربه ما لم يأخذه شيطانه ، قيل : وفي كم يأخذه شيطانه ؟ قال : في ثلاث » .
وسيرة النبي (ﷺ) العطرة تبين لنا أنه (ﷺ) لم يشرب الخمر قط ؛ لا قبل البعثة ،
ولا بعدها . . وإنما كان يشرب من هذا النبيذ الذي لم يتخمر بعد . .



« أبوبكر والخمر »

ولم يؤثر عن أبي بكر (رضي الله عنه) أنه شرب الخمر لا في الجاهلية ولا في الإسلام . .
وعندما سئل عن ذلك قال :

« أنا إنسان أصون عرضي . . وشارب الخمر لا يصون عرضه » .



« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

يروى أن رجلاً كان كلما أذنب . . يكتب ذنبه في ديوان . . فأذنب يوماً ما ذنباً فنشر
ديوانه ليكتبه فيه . . فلم يجد فيه إلا قوله تعالى :

﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَبَابَتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١) .

يعنى يدل الله مكان الشرك الإيمان . . ومكان الزنا العفو . . ومكان المعصية
العصمة والطاعة . .

(١) ٧٠ الفرقان .

و ذات يوم مر عمر (رضي الله عنه) على شاب يحمل قارورة تحت ثيابه . . فقال عمر : أيها الشاب . . ما الذي تحمل تحت ثيابك ؟ . . وكان فيها خمر . . فخرج الشاب أن يقول خمرأ . . وقال في سره : إلهي لا تخذلني أمام عمر . . واسترني ولا تفضحني . . فلا أشرب الخمر بعد اليوم أبداً . . ثم قال : يا أمير المؤمنين . . الذي أحمله هو : خل . . فقال عمر : أرني حتى أراها . . فكشفها بين يديه . . فرأها عمر صارت خلأ . . فانظر إلى مخلوق تاب من خوف مخلوق . . فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل . . لما علم منه إخلاص التوبة . . فلو تاب العاصي من ذنوبه توبة نصوحاً . . وتدم على ذنبه لبدل الله تعالى خمر سيئاته بخل الطاعة . . وعسل المغفرة



« إن كان حراماً .. نحن حرقناه »

« وإن كان حلالاً .. نحن شربناه »

و ذات يوم كنت على سفر من الزقازيق إلى الإسكندرية وركبت سيارة وكان بجانبى شاب فى الثلاثين من عمره يعمل مستورد نظارات . . وكان فى طريقه إلى الإسكندرية ليستقبل مركباً قادماً إليه هناك وما إن تحركت السيارة حتى أخرج من جيبه سيجارة تلو سيجارة وطلب من السائق مسماراً . فأوماً له السائق ثم أوقف السيارة أمام أحد المحال التجارية وأحضر مسماراً . . وأعطاه للشاب . . فأخذ الشاب المسمار وظل يدخله فى السيجارة واحدة بعد الأخرى . حتى أحدث فى كل سيجارة قناة فى وسطها . . فاستغربت لهذا .

وانتظرت لأرى ماذا يفعل . . فإذا به يخرج قطعة أشبه بطين الصلصال . . ويفتلها كالشعرية . . ويضعها فى كل سيجارة . ثم يشعلها ويعطى السائق واحدة ويشرب الأخرى . .



« حوار مع سكير انتهى بتوبته »

فسألته ما هذا ؟

فقال : ألا تدري ما هذا ؟

قلت له : لا والله لا أدري ..

قال لى : هذا هو الحسيس .. (بالسين) ..

قلت له : تقصد الحشيش ..

فقال لى : لا .. إن اسمه حسيس (بالسين) لأنه يربى الإحساس ويجعل الإنسان

حساساً .. وكانت هذه أول مرة أرى فيها الحشيش .. وأسمع هذا الكلام الغريب ..

قلت له : ولكن هذا حرام ..

قال لى : لا .. ليس بحرام .. وإلا فهات لى آية من القرآن الكريم تحرم الحشيش ..

فقلت له : ما أسكر كثيره فقليله حرام .. إلخ هذه الأحاديث ..

كما ذكرت له حديث جمهور العلماء :

« من شرب الحشيش مستحلاً له .. فقد كفر .. لا يدفن فى قبور المسلمين ولا يصلى

عليه .. » .

فقال لى : هات لى آية .. وأنا أمنعه فوراً .. وعموماً إن كان حراماً نحن

حرقناه .. وإن كان حلالاً نحن شربناه » .

فقلت له : إن أحاديث النبى (ﷺ) وحي من عند الله تعالى ..

فقال : أريد آية ..

فقلت له : هل تصلى ؟

قال : نعم ..

فقلت له : كم ركعة تصلى المغرب ؟

قال : ثلاث ركعات ..

فقلت له : أريد آية من القرآن تقول : إن المغرب ثلاث ركعات ..

فبهت .. ولم يستطع الكلام ..

فقلت له : هل تصلى الصبح ؟

قال : نعم .

قلت له : كم ركعة تصلى الصبح ؟

قال : ركعتين . .

قلت له : ائتني بآية من القرآن تؤكد أن الصبح ركعتان . .

فبهت . .

فقلت له : لقد جاء في الأثر : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم

عذاب أليم :

١ - من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول . . والله يقول :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (١) .

٢ - ومن قال أطيع الله ولا أطيع والدي ، . . والله يقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٢) .

٣ - ومن قال أقيم الصلاة ولا آتى الزكاة . . والله يقول :

﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٣) .

فالقرآن إجمال . . والسنة تفصيل . . والله يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٤) .

فلا بد أن تؤمن بهذا وذاك . . حتى يكتمل إيمانك . .

ثم قلت له : أتشرب الحشيش كل يوم ؟

قال : نعم . .

قلت له : بكم تشتري كل يوم ؟

قال : أنا لا أشتري الحشيش . . ولكن لى أخ يرسل إلى كل أسبوع كمية . .

فقلت له : اتق الله . . فإنه اللقمة الملعونة . . اللقمة الحبيثة . . إنه خبيث ورذيلة . .

فقال لى : أعاهلك ألا أقرب منه بعد اليوم !

• • •

(٣) ٥٦ النور .

(٤) ٧ الحشر .

(١) ٩٢ المائدة .

(٢) ٢٣ الإسراء .

« يسألونك عن الخمر والميسر »

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١﴾ .

وهذه الآيات التي بين أيدينا من سورة المائدة . . . وهي من السور المدنية الطويلة التي تناولت كسائر السور المدنية ، جانب التشريع بإسهاب ، مثل سورة البقرة ، والنساء ، والأنفال ، إلى جانب موضوع العقيدة ، وقصص أهل الكتاب . . . وهي آخر ما نزل من القرآن ، وليس فيها منسوخ ، وفيها ثمان عشرة فريضة .

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) :

أنزلت على رسول الله (ﷺ) سورة المائدة ، وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله . . فتزل عنها . .

وسميت سورة المائدة بهذا الاسم . . . لورود ذكر المائدة فيها ، حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السلام آية تدل على صدق نبوته ، وتكون لهم عيداً وقصتها أعجب ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ، ولطف عظيم من الله العلى العظيم .

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ :

الخمر: جميع الأشربة التي تسكر ، والميسر: القمار . . كانوا يتقامرون به في الجاهلية .

﴿ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ ﴾ :

أي : الأصنام المنصوبة للعبادة . . والأقداح التي كانت عند سدنة البيت . . وخدام الأصنام . .

(١) ٩٠ ، ٩١ المائدة .

قال ابن عباس : الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرايينهم عندها . . والأزلام :
قداح كانوا يستقسمون بها . .

﴿ رجس من عمل الشيطان ﴾ :

أى : قذر ونجس تعافه العقول ، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان . .

﴿ فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ :

أى : اتركوه وكونوا فى جانب آخر بعيدين عنه . . لتفوزوا بالثواب العظيم . .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ﴾ :

أى : ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء . . بين المؤمنين فى
شربهم الخمر ولعبهم بالقمار . .

﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ :

أى : ويمنعكم بالخمر والميسر . . عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وأخراكم . .
وعن الصلاة التى هى عماد دينكم .

﴿ فهل أنتم متبهون ﴾ :

الصيغة للاستفهام . . ومعناه الأمر . . أى انتهوا . . ولذلك قال عمر : انتهينا
ربنا . . انتهينا .

ثلاث آيات نزلت فى الخمر :

أولها : تقييم . ثانيها : تقويم . ثالثها : تحريم

قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ
نَفْعِهِمَا ﴾ (١) .

فكان هذا جواباً شافياً لسؤال المسلمين عنها . . وتقييماً للخمر ، وبياناً لما فيها من
الإثم الذى يجاوز النفع . . فشربها من شربها ، وتركها من تركها . . إلى أن شرب رجل
الخمر ، ودخل فى الصلاة . . وهو سكران . فقراً :

(١) ٢١٩ البقرة .

يا أيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون . دون ذكر النفى . . فنزل قوله تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . . ﴾ .

فكانت هذه الآية تقويماً للمسلمين . . وتمهيداً لتحريمها نهائياً . . حتى نزل قوله تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ﴾ (١) .

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« لا يدخل الجنة مدمن خمر . . ومن شرب الخمر في الدنيا ، لم يشربها في الآخرة وإن دخل الجنة . وأول ما نهانى عنه ربي بعد عبادة الأوثان ، عن شرب الخمر ، وملاحاة الرجال . وما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار . . فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون . . فيقول أحدهم للآخر : يا فلان . . لا جزاك الله عنى خيراً . . فأنت الذي أوردتني هذا المورد . . فيقول له الآخر : مثل ذلك .

ومن شرب الخمر في الدنيا . . سقاها الله من سم الأسود شربة يتساقط منها لحم وجهه في الإناء . . قبل أن يشربها . . فإذا شربها تساقط لحم وجهه وجلده ، يتأذى به أهل النار . ألا إن شاربها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها ، شركاء في إثمها . . لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ، ولا حجاً . . حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة . . كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم . ألا وإن كل مسكر خمر . . وكل خمر حرام . وما أسكر كثيره . . فقليله حرام . . .
وقد حرم الإسلام الخمر ليس حرماناً للمسلم من شيء فيه منفعة . . وإنما خوفاً على العقل أن يضل ، والشخصية أن تميع ، والبهاء أن يذهب ، والرجولة أن تضيع .

فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال :

« الخمر أم الخبائث . . الخمر أم الفواحش . . وأكبر الكبائر . ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته » . .

وقد ورد أن عثمان بن عفان . . قام خطيباً . . فقال :

« أيها الناس . . اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث . . فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس . . فعلقته امرأة . . فأرسلت إليه خادماً . . إنا ندعوك لشهادة . . فدخل . . فطفقت كلما يدخل باباً أغلقته دونه . . حتى إذ أفضى إلى سيدة جميلة وضيئة جالسة . . وعندها غلام . . وزجاجة خمر . . فقالت له : إنا لم ندعك لشهادة . . ولكنى دعوتك لقتل هذا الغلام ، أو تشرب معى كأس خمر ، أو تواقعنى ، فإن آيت صحت بك وفضحتك . . قال :

فلما رأى أنه لا بد من ذلك . . قال : أما القتل فلا أفعله ، وأم الفاحشة فلا آتيها . . اسقيني كأساً من خمر . . فسقته كأساً من خمر ، فلعبت برأسه فبكى الغلام فقتله ، فلم تزل به حتى واقعها . . فاجتنبوا الخمر ، فإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر فى صدر رجل أبداً . . إلا ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه »

وقد يسأل سائل ويقول

قال الله فاجتنبوه . . ولم يقل بالتحريم فنقول

إن اجتناب الشيء أشد من تحريمه ، فإذا قال الله لا تشربوا الخمر ، لكان يجوز لنا أن نجلس فى الحانة معهم ، وأن نصنعها ، وأن نبيعها ، وأن نأكل ثمنها . . بل كان يجوز لنا أن نهديها إلى أصحابنا ، وأن نفتنيها فى بيوتنا . . ولكن الله سبحانه وتعالى قال : فاجتنبوه . . أى : مجرد الجلوس معهم فى حاناتهم حرام ، لأن الاجتناب . يعنى اجتناب كل شيء يؤدى إليها ، واجتناب كل طريق يؤدى إليها ، واجتناب كل صديق يؤدى إليها ، واجتناب كل مكان هى فيه وخير تفسير لمعنى الاجتناب ، حديث النبى (ﷺ) :

لعن رسول الله (ﷺ) فى الخمر عشراً :

« عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقها ، وبائعها ، وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له » .

ويدخل فى الخمر :

الحشيش ، والأفيون ، والسموم البيضاء ، والبانجو . . إلى آخر ما يستجد من أسماء . . فليست العبرة بالأسماء . . وإنما العبرة بالأشياء . . وليست العبرة بالأسماء . . وإنما العبرة بالمسميات . .

ويرى جمهور العلماء أن :

من شرب الحشيش مستحلاً له ، فقد كفر ، لا يدفن في قبور مسلمين ، ولا يصلى عليه .

وأما شرب هذه الأشياء للتداوى بها . . فحرام لحديث النبي (ﷺ) :
« ما جعل الله شفاءكم في حرام » ^(١) . فإن ما أفسد العقل ، يحرم تناوله مأكولاً كان أو مشروباً .

وقد أثبت الطب الحديث : أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمر والمخدرات . . أكثر استعداداً للمرض ، وأقل مقاومة له . . كما أن الخمر تعد من أسباب الإجهاض المباشرة ، وأسباب التشوهات الخلقية عند الجنين ، فضلاً عن العلل الخلقية التي تنتقل إليه من نطفة أبيه ، وكم نسمع عن حوادث أودت بحياة الأبرياء ، وأهلكت الأموال والأحوال . . وكان وراءها سكران من هؤلاء الذين لا خلق لهم ولا دين ، كما أن الخمر نذير شؤم وفقر . . فما دخل الخمر إلى بيت إلا وقال له الفقر : خذني معك . . فهي نذير فقر وشؤم وعوز وإذلال .



« العقل السليم في الجسم السليم »

إن الجواهر أربع	من السمعة والنعم
العقل والجسم السليم	والدين والخلق القويم
مادونهن مظاهر	ومظاهر الدنيا هموم
لا يصلح الجليل الجديد	بغير ما صلح القديم
لا يستجيب لحفظهن	من الورى إلا كرم
أويرفضن ضياءهن	بلا نهى إلا لئيم
إن السموم تسللت	وإذا تسللت السموم
استعمرت أجسامنا	واحتلنا منها الخصوم ^(*)

(*) من شعر المؤلف .

(١) رواه أحمد وغيره .

ويقول الهادى البشير (عليه السلام) :

* « ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا . إلا جمعهم الله فى النار يوم القيامة » (١) .

* « إنه ليس بدواء ولكنه داء » (٢) .

* « إن الله أنزل الداء والدواء . فجعل لكل داء دواء . فتداؤوا . ولا تتداؤوا بحرام » (٣) .

ويقول الإمام علي (كرم الله وجهه) :

* « يا دنيا غري غيري ، ألي تعرضت ، أم إلي تشوقت . . هيهات هيهات قد بايتك ثلاثاً لا رجعة فيها . . فعمري قصير . . وخطرك حقيق . . »

ويقولون :

* « ما قام الباطل إلا لغفلة أهل الحق » .

* « ارفع علم الحق يتبعك أهله » .

* « لا دواء فى حرام » .

هذا . .

* « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :

١ - عن عمره فيم أفناه ؟

٢ - وعن شبابة فيم أبلاه ؟

٣ - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟

٤ - وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » (٤) .

• • •

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) رواه أبوداود .

(٤) رواه الترمذى .

« العقل السليم في الجسم السليم والجسم السليم في العقل السليم »

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ لَا جَبْتُهُ لَكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١﴾ .

ويقول المصطفى (ﷺ) :

* « كل مسكر خمر . . وكل خمر حرام » (٢) .

* « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (٣) .

* « كل مسكر حرام » (٤) .

• • •

« أثر الخمر والمخدرات على الفرد والمجتمع »

إن الخمر يشتمل أنواعها . . والمخدرات بكافة صورها . . أصبحت في هذا العصر . . وسيلة من وسائل الحروب الحديثة ضد الشعوب . . للقضاء على الشباب الذين هم عدة الأمة وعتادها . . فإذا ضرب الشباب في أي أمة من الأمم . . فقد ضربت في مقتل . . وانهارت قواها وخارت . . وهوت إلى الهلاك والدمار . .

فإن تعاطى الخمر والمخدرات أو شئء منها . . يجعل الشخصية تضعيف . . والمروءة تميع . . والقدرة على العمل والحركة تفتر . . والغيرة على الشرف والكرامة تمحى . . ويصير صاحبها خائراً ضائعاً واهناً مضطرباً . . ينطبق عليه قول الشاعر :

شربت الخمر حتى ضل عقلى كذاك الخمر تفعل بالعقول

• • •

(٢) رواه الترمذى وغيره .

(٤) رواه الحاكم وغيره .

(١) ٩٠ - ٩١ المائدة .

(٣) رواه أحمد وغيره .

« السبب العلمى وراء تحريم الخمر والمخدرات »

إن السبب العلمى وراء تحريم المخدرات والخمر بشتى أنواعها وكافة صورها يرجع إلى الكحول .. فالكحول هو سبب تحريم الخمر .. وهو نفس السبب فى تحريم المخدرات .. لأنه يضرب الغدة النخامية .. التى هى ما يستر الجسم .. فإذا ضربت الغدة النخامية .. ضربت سائر الغدد فى الجسم واضطربت الحواس فى جسم الإنسان .. هذا ما ثبت علمياً حتى الآن .. وما خفى كان أعظم ..



« الرأى الشرعى فى الجرم الذى يرتكبه المتعاطى فى حق نفسه وأمتة »

وقد أجمع جمهور العلماء : على أنه من شرب الخشيش والمخدرات والسموم البيضاء والخمر على مختلف ألوانها وتسمياتها ما ظهر منها وما لم يظهر .. من شرب شيئاً من هذه السموم .. مستحلاً لها .. فقد كفر .. لا يدفن فى قبور المسلمين .. ولا يصلى عليه ..

وقد شبه العلماء .. الخشيش والأفيون ، والمخدرات ، والسموم البيضاء ، والخمر بشتى أنواعها : باللقمة الخبيثة .. واللقمة الملعونة .. لأنها لو تمكنت من جمل لقتلته .. هذا .. ومن شرب الخمر تحت أى مسمى .. أو شيئاً منها .. ومن شرب المخدرات تحت أى دعوى .. أو شيئاً منها .. وقع على أمه وأخته وعمته .. لأنه يفقد عقله .. ويفقد نفسه .. ويفقد حاضره .. ويفقد مستقبله .. فالعقل السليم فى الجسم السليم .. والجسم السليم فى العقل السليم ..



الجواهر الأربع

من السعادة والنعيم	إن الجواهر أربع
والعقل والجسم السليم	الدين والخلق القويم
ومظاهر الدنيا هموم	مادونهن مظاهر
من الورى إلا كريم	لا يستجيب لحفظهن
بلا نهى إلا لئيم	أويرفضن ضيائهن
بغير ما صلح القديم	لا يصلح الجيل الجديد

هذا ..

وإن هناك من يقول :

أنا لا أؤذى أحداً .. فكيف تكون حراماً ؟

نقول له :

لقد أذيت وأوذيت ..

وهناك بعض المتعاطين يقولون :

إنهم لا يضررون أحداً .. وهذا يخصهم وحدهم .. وإن هذه حرية .. فكيف تكون حراماً ؟

نقول لهم :

لقد أذيتهم وأوذيتهم .

وقد ورد أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) خطب المسلمين ذات يوم .. فقال : أيها الناس « اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث » .. وأنه كان فيمن كان قبلكم رجل دعت امرأه وأرسلت إليه خادمها وقالت له : إنا ندعوك لشهادة .. فدخل .. وطفق كلما دخل باباً أغلق دونه .. حتى دخل من سبعة أبواب .. فوجد امرأة وضيئة جميلة .. ووجد عندها صبياً .. ووجد كأساً من خمر .. فقالت له :

إنا لم ندعك لشهادة .. ولكني دعوتك لتواقعي .. أو تقتل هذا الصبي .. أو تشرب كأس الخمر .. وإلا صرخت بأعلى صوتي .. وجمعت عليك الناس ليقتلوك .. فلم يجد الرجل بداً .. فقال لها :

أما الفاحشة فأنا لا آتيها .. وأما القتل فأنا لا أفعله .. فشرب الخمر فلعبت برأسه .. فجملت المرأة في عينيه فواقعها .. ويكى الصبي فقتله .. فاتقوا الخمر فإنها أم الخبائث .. فالخمر والمخدرات في شتى أنواعها وكافة صورها .. ملعونة في كل الأديان محرمة فيها .. مما حدا بالدول المتقدمة .. أن تحرمها تحريماً مطلقاً .. بعد أن خربت الديار .. وعم الدمار .. على كل دار ..

مما حدا بالدول الأوربية .. أن تسن القوانين .. وترصد الملايين .. لمنعها منعاً باتاً .. بعد أن تبين أن أكثر من مائة مليون .. قد ماتوا من جراء تعاطي هذه المخدرات والخمر .. فقد تم ضبط أكثر من ألفي سائق في حالة سكر .. أثناء وقوع هذه الحوادث في بعض المدن الأوربية .. هذا فضلاً عن المتعاطين أنفسهم ..

« تجرية من الحياة يستفيد منها الشباب »

هذا ..

ولا أنسى يوماً وأنا عائد من سفر .. وفى الطريق .. وبعد منتصف الليل .. استوقفتنى رجل .. فوقفت له .. وركب معى .. وبعد أن سرت به .. سألتنى : لم وقفت لى ؟ فأدهشنى سؤاله .. وصمت .. فقال لى : الله .. قلت له : الله أعلم .. قال لى : لا تفعل لله ليلاً .. قلت له : لماذا ؟ قال لى :

إنه يعمل على طريق كذا وكذا .. وذات يوم وفى أثناء عودته ليلاً .. وبعد منتصف الليل .. استوقفه رجل ومعه حقيبة .. فظن أنه مسافر ضل به الطريق .. أو تقطعت به السبل .. أو عائد من سفر بعيد .. فوقف له وركب خلفه .. وما إن سار به حتى أخرج الرجل سلاحه ووضع فى رقبة السائق .. وقال له : هيا .. ولا تنظر خلفك .. ولا تنظر يمينا ولا يساراً .. وأخبره أنه تاجر مخدرات .. وهذه الحقيبة التى معه بها مخدرات .. فلا تنظر هنا ولا هناك .. وظل يأمره .. يمينا وشمالاً .. حتى وصلا إلى طريق مسدود وأرض خراب .. ثم قال له : قف هنا .. ونزل الرجل .. ورمى له مبلغاً من المال .. وقال له : هيا انصرف ولا تنظر خلفك ..

هذه القصة أقصها على الشباب ليأخذ حذره .. فإن ابن الحرام لم يترك شيئاً لابن الحلال إلا تسلل إليه منه .. ودخل إليه فيه .. فليأخذ الشباب حذره قبل فوات الأوان وحلول الهوان ..

واحذر أن يعطيك أحد شيئاً .. ولو كان ثميناً .. فقد يكون وراءه هدف أئمن ..

واحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة



« حكم الخمر في الأديان جميعاً »

هذا ..

واعلم أن هذه الخمر والمخدرات بكافة ألوانها واختلاف صورها .. ملعونة في شتى الديانات والكتب السماوية .. وقد لعنها رسول الله (ﷺ) في عشرة وجوه :

« في عاصرها ، ومعتصرها ، وصانعها ، وأكل ثمنها ، وبائعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقها ، والمشتري لها ، والمشتري له » .

• • •

« هل يجوز التداوى بها أو التدفئة في المناطق الباردة ؟ »

هذا .

وقد يزعم بعض الناس أو يدعى : أنه يتناول هذه الخمر .. أو تلك المخدرات للعلاج .. أو للتدفئة .. فلا جديد تحت الشمس .. فقد سئل رسول الله (ﷺ) عن رجل يشربها للعلاج والشفاء .. فقال (ﷺ) :

« ما جعل الله شفاءكم في حرام » .

وسأله آخر .. وقال : يا رسول الله .. إننا في إقليم شديد البرد .. ونشربها لنستدفئ بها .. فقال (ﷺ) : أمسكرو هو ؟ قال : مسكرو !! قال (ﷺ) : « ما أسكر كثيره .. فقليله حرام .. » .

وهذا مبدأ عام ..

ويقول الهادي (ﷺ) :

* « اعقلها وتوكل » ^(١) .

* « لا عقل كالتيدير .. ولا ورع كالكف .. ولا حسب كحسن الخلق » ^(٢) .

(٢) رواه الترمذي .

(١) رواه أحمد .

* « أول ما خلق الله العقل . . ثم قال له : أقبل فأقبل . . ثم قال له : أدبر فأدبر . .
ثم قال له : وعزتي وجلالي . . ما خلقت خلقاً أعزّ علىّ منك . . فبك أعطي وبك آخذ . .
وبك أثيب وبك أعاقب »^(١) .

ويقولون :

* « العقل السليم في الجسم السليم . . والجسم السليم في العقل السليم » .

* « يهدم الصدر الضيق . . ما بيني العقل الواسع » .

* « فالعقل والدين . . العقل والدين . . العقل والدين » .



(١) رواه ابن ماجه وغيره .

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - المعجم المفهرس
- ٣ - تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .
- ٤ - تفسير في ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب)
- ٥ - تفسير القرطبي
- ٦ - تفسير الجلالين .
- ٧ - تفسير أبي السعود .
- ٨ - تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .
- ٩ - صفوة التفاسير (للشيخ محمد علي الصابوني)
- ١٠ - تفسير الطبري .
- ١١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري
- ١٢ - صحيح مسلم .
- ١٣ - مسند الإمام أحمد
- ١٤ - سنن أبي داود .
- ١٥ - زاد المعاد (لابن القيم) .
- ١٦ - الترغيب والترهيب (للمنذري) .
- ١٧ - الدين الخالص (محمود خطاب السبكي)
- ١٨ - فقه السيرة (للبوطي) .
- ١٩ - فقه السنة (السيد سابق) .
- ٢٠ - الفقه على المذاهب الأربعة .
- ٢١ - إحياء علوم الدين (للغزالي) .
- ٢٢ - مقدمة ابن خلدون
- ٢٣ - أحكام القرآن (لابن العربي) .
- ٢٤ - لسان العرب (لابن منظور) .
- ٢٥ - مختار الصحاح (للرازي) .
- ٢٦ - المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .
- ٢٧ - مفردات القرآن (للأصفهاني) .
- ٢٨ - البداية والنهاية (لابن كثير) .
- ٢٩ - الأحاديث القدسية (المجلس الأعلى
- للمشئون الإسلامية) .
- ٣٠ - رياض الصالحين (للنووي) .
- ٣١ - الموطأ (للإمام مالك) .
- ٣٢ - الدر المنثور (للسيوطي) .
- ٣٣ - الدراري المضيئة (للشوكاني) .
- ٣٤ - فضائل القرآن (لابن كثير) .
- ٣٥ - روح المعاني (للألوسي) .
- ٣٦ - الروح (لابن القيم) .
- ٣٧ - الأذكار (للنووي) .
- ٣٨ - الجواب الكافي (لابن القيم الجوزية)
- ٣٩ - صيد الخاطر (لابن الجوزي) .
- ٤٠ - غاية الحكيم (لمسلمة ابن أحمد) .
- ٤١ - مكاشفة القلوب (للغزالي) .
- ٤٢ - مفتاح السعادة (لابن القيم) .
- ٤٣ - الطب النبوي (لابن القيم) .
- ٤٤ - خزانة الأدب (للبغدادي) .
- ٤٥ - من وصايا القرآن (دار التراث العربي) .
- ٤٦ - تفسير الأحلام (لابن سيرين) .
- ٤٧ - تفسير الأحلام (للنابلسي)
- ٤٨ - في رحمة الله (للمؤلف) .
- ٤٩ - حديقة الأولياء (للمؤلف) .
- ٥٠ - لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف) .
- ٥١ - لؤلؤ ومرجان (للمؤلف) .
- ٥٢ - من خشية الله (للمؤلف) .
- ٥٣ - السعي إلى الآخرة (للمؤلف) .
- ٥٤ - أسماء الله الحسنى (للمؤلف) .
- ٥٥ - رمضان كريم (للمؤلف) .

فهرس

المرسوع	صفحة	المرسوع	صفحة
- كلمت طيبة	٣	- الجار وإن جار	٥٧
- الإهدام	٥	■ صنائع المعروف	٥٩
- مقدمت	٧	- الشهامة والمروءة	٦٠
■ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٣	- نبل وكرم	٦١
- الكلمة الطيبة	١٤	- قبل الإسلام	٦١
- الحكمة والموعظة الحسنة	١٧	- قطوف من السنة	٦٣
- وصايا مباركة	٢١	- صنائع المعروف	٦٥
- آداب النصيحة	٢٣	- قطوف من أزهار السنة	٦٩
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...	٢٤	- وأحسن كما أحسن الله إليك	٧٠
- أحب عباد الله إلى الله	٢٩	- اصنع المعروف	٧١
■ الله لطيف بعباده	٣٣	- شهامة ومروءة جندی	٧٢
- إن ربي لطيف لما يشاء	٣٤	■ العمل عبادة	٧٥
- وكان الإنسان عجولا	٣٧	- الدين المعاملة	٧٦
- اللهم زد أمتي	٤٠	- يا أيها العمال	٧٧
■ حق الجار	٤٥	- يد يحبها الله ورسوله	٧٧
- حقوق الجار	٤٦	- السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة	٧٨
- كل أربعين داراً جار	٤٦	- العمل عبادة	٨٠
- الجار الملعون	٤٧	- تاجر الرحمن	٨٢
- حقوق الجار عشرة	٤٧	- ثمرة العمل في الإسلام	٨٣
- ثلاثة في النار	٤٨	- التاجر الصدوق	٨٥
- الجيران ثلاثة والحقوق ثلاثة	٥٠	- يا غياث المستغيثين	٩٠
- أسوة حسنة	٥٠	■ الرشوة في فطر الإسلام	٩٥
- مكارم الأخلاق	٥١	- الرشوة	٩٦
- حق الجار على الجار	٥٣	- بشر ملاك	٩٨
- أوصيكم بالجوارح	٥٤	- الرشوة في العمل كالسم في العسل ...	٩٨
- من شيمة الكرم	٥٤	- الراشي المجبر	١٠٠
- أكرم العرب	٥٥	■ من بشر يأنسى	١٠٣
- وفي أنفسكم آثار من	٥٦	- المرأة كالأرض تعطى ما تأخذه	١٠٤

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
- اليوم كالأمس	١٠٥	- ردة وبربرية . . وعود إلى الجاهلية ...	١٠٥
- حجاب من النار	١٠٦	- الخمر أم الخبيثات	١٠٧
- تحريم الخمر في القرآن	١٠٨	- تحريم الخمر في السنة	١٠٩
- حديث عثمان بن عفان (رضي الله عنه)	١١٠	- هاروت وماروت	١١٠
- عطشان يوم القيامة	١١١	- من شرب الخمر في الدنيا	١١١
- الشخصية الإسلامية	١١١	- الخمر في الأديان السابقة	١١٢
- سكران	١١٢	- يسمونها بغير اسمها	١١٢
- من أنواع الخمر	١١٣	- كل مسكر حرام	١١٣
- المخدرات	١١٤	- تمجزة الخمر والمخدرات	١١٥
- حرام في الدنيا . . حلال في الآخرة	١١٦	- الخمر والحريير والذهب	١١٧
- التداوى بالخمر	١١٨	- ليس بدواء ولكنه داء . . وما جعل الله	١١٩
- شفاءكم في حرام	١٢٠	- وكان أبوهما فاسداً	١٢١
- مفتاح كل شر	١٢١	- المرض الخبيث	١٢١
- جرثومة البؤس	١٢٢	- جريمة بشعة	١٢٣
- أمريكا والخمر	١٢٣		
- كيفية تحريم الخمر	١٢٤		
- على ثلاث مرات	١٢٥		
- قول مردود على أصحابه	١٢٦		
- حبس الإجماع	١٢٩		
- عقوبة شارب الخمر	١٣٠		
- حد شارب الخمر	١٣٠		
- ثبوت الحد	١٣٠		
- شروط إقامة الحد	١٣١		
- ومن ثمرات التخليل والأعقاب	١٣١		
- شرب العصير والتبيل قبل اختباره	١٣٢		
- اشربه مالم يأخذه شيطانه	١٣٣		
- أبو بكر والخمر	١٣٣		
- الثائب من الذنب كمن لا ذنب له	١٣٣		
- إن كان حراماً . . نحن حرقناه . . وإن			
كان حلالاً . . نحن شربناه	١٣٤		
- حوار مع سكير انتهى بتوبته	١٣٥		
- يسألونك عن الخمر والميسر	١٣٧		
- العقل السليم في الجسم السليم	١٤١		
- أثر الخمر والمخدرات على الفرد			
والمجتمع	١٤٣		
- السبب العلمي وراء تحريم الخمر			
والمخدرات	١٤٤		
- الرأي الشرعي	١٤٤		
- الجواهر الأربع	١٤٤		
- تجربة من الحياة يستفيد بها الشباب	١٤٦		
- حكم الخمر في الأديان جميعاً	١٤٧		
- هل يجوز التداوى بها أو التدفئة ؟	١٤٧		
- المراجع	١٤٩		
- الفهرس	١٥٠		



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ ش. الشركة الحديثة (من زوايا) لاكس ولسي - ٢٥٥٤٣٣٦، ب

القاهرة - جمهورية مصر العربية



الكلمة الطيبة

إلى : كل روح نيرة ..
إلى : كل نفس خيرة ..
إلى : كل يد بيضاء ..
إلى : كل مهجة عذراء ..
إلى : كل لسان عفيف ..
إلى : كل إنسان شريف ..
أقدم لهم كتابي ..
وأهدي لهم لبابي ..
إلى : كل بيت ..
وكل أسرة ..
وكل مكتبة ..

أهدي كتابي .. (الكلمة الطيبة)

مع خالص دعائي وتمنياتي الطيبة

تاج الدين توفيل

Dar Al Ameen

للطباعة والنشر والتوزيع

دار الأمين

القاهرة، 13 شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) لاغلوغلي - الرقم البريدي 11461
ص.ب 1702 العتبة 11511 تليفون 3554376 - فاكس 3900130
الجيزة، 1 ش سوهاج من ش الزقازيق - الهرم - ص.ب 1315 العتبة 11511 - تليفون 5634699
جمهورية مصر العربية Cairo - Egypt